

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة   العدد ١٤٥   رجـب ١٤٣٦ هـ

التشيع العربي حديث خرافة







رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٤٥)
رجب - ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة

التشيع العربي حديث خرافة

في هذه المرحلة التي تكشفت فيها طائفية وعدوانية المشروع الشيعي والإيراني، ومشاركتهم جميعاً في حرب طائفية ضد الأكثرية بهدف الإقصاء والإفناء، وكل هذا بسبب دوافع طائفية تكفّر جمهور المسلمين وتستحل دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ولا تفرق بين كبير وصغير ولا رجل أو امرأة أو طفل، ولا بين إسلامي أو علماني، ولا بين مسلح أو مدني، فالكل عندهم سواء.

وفي المقابل يشترك غالب الشيعة في هذه الحرب الطائفية سواء قادة النظام الإيراني أو قادة الأحزاب والتجمعات الشيعية السياسية العربية في العراق ولبنان والبحرين والكويت والسعودية واليمن، أو المراجع والشخصيات الدينية العربية والأعجمية، أو الجنود وأعضاء الميلشيات الشيعية الإيرانية والعربية والأفغانية والباكستانية والأذرية، أو عامة الشيعة من الرجال والنساء والأطفال من كل البلاد، كما يظهر من مظاهراتهم ومسيراتهم وإعلامهم.

ولم تقتصر هذه الحرب الطائفية الشيعية على بلد دون بلد، بل اكتوى بنارها المسلمون في إيران من السنة ومن المعارضين للنظام، وفي العراق، وفي لبنان، وفي سوريا، وفي البحرين، وفي اليمن، وفي الكويت، وفي السعودية، كما تم اغتيال عدد من العلماء والدبلوماسيين على يد عملاء إيران في الباكستان وأوروبا ودول شرق آسيا.

وبعد هذا كله تخْرج علينا أصوات نشاز تتصنع العقلانية والفهم والدراية، وأن عندها الترياق الشافي للعدوان الشيعي الإيراني الطائفي، فتملأ الصحف والفضائيات والندوات بترويج مغالطات عجيبة، منها:

- أن المشكلة هي مع إيران كدولة ونظام وقومية فارسية، وليس مع التشيع كفكرة وأيديولوجيا وعقيدة.
- أن الشيعة العرب ليست لديهم أفكار ومبادئ طائفية، ولم يمارسوا سياسات طائفية عدوانية.
- أننا كغالبية مسلمة وسنية، أنظمة وشعوبا، كنا من أشعل الطائفية ضد الشيعة العرب وإيران.
- وأننا من فرط في احتضان الشيعة العرب، وأهملناهم حتى اضطروا للجوء إلى إيران.
- وأن الحل اليوم هو بالانفتاح على الشيعة العرب، حتى نهزم إيران.

وهذه المزاعم والأغاليط حديث خرافة لا أصل لها، وتنمّ عن جهل بالتاريخ والواقع من جهة، وجهل بعقائد التشيع ورواياته من جهة أخرى، أما الباعث على ذلك فإما عصبية للعلمانية وفصل الدين عن الدولة بحسن نية، وإما بهوى وميل للشيعة إما اعجاباً بهم لمواقفهم السياسية (بالأحرى شعاراتهم)، أو انخداعاً بدعايتهم باتّباع آل البيت، أو طمعاً في أموالهم ونسائهم.

فالتشيع سيطر على إيران مع قيام الدولة الصفوية ذات القومية التركية، وهو محرك أساسي في سياستها، ولذلك هاجمت إيرانُ العراقَ في زمن الصفويين لتشييعه، وبعد الصفويين ازداد ذلك مع الجمهورية الخمينية، والتي بني دستورها على أساس شيعي طائفي، يعلن صراحة عن نيته بنشر الطائفية خارج إيران ويكلف جيشه بالعمل من أجل التشيع في خارج الحدود، ثم يأتي من يحاول بصفاقة حصر سياسة إيران في الأطماع القومية الفارسية!

أما الشيعة العرب فهم لا يختلفون فكرياً ودينياً عن الشيعة الإيرانيين الفارسيين، ولو تفحصنا كتب ومواقف مراجع الشيعة العرب قبل ظهور الخميني، لوجدنا أن مرجع الشيعة في النجف أرسل مبعوثين عنه لنشر التشيع في مصر منذ الثلاثينيات من القرن الماضي، فأسسوا دار التقريب بين السنة والشيعة، والتي تكشفت طائفيتها لكثير ممن تعامل معها.

ولوجدنا زعيم شيعة لبنان، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، يكذب على شيخ الأزهر ويدعي أنه قد

تشيع، ويؤلف كتاباً بعنوان (المراجعات) حشاه كذباً على لسان شيخ الأزهر –آنذاك- سليم البشري، ونجد أنه تظاهر بالتقارب والوحدة مع السنة، لكن سرعان ما انكشف كذبه عندما ألّف كتاباً للطعن في الصحابي الجليل أبي هريرة، أما مرجعهم العراقي كاشف الغطاء فقد تواقح في المسجد الأقصى حين دعي للمؤتمر الإسلامي فاحتكر الإمامة بعلماء المسلمين طيلة أيام المؤتمر رضىً منهم، ودعاهم علنا للتشيع، فهذه هي حال الطائفية وترسخها عند شيعة العرب من قبل ولادة الخميني ربما!

وها نحن اليوم نرى الشيعة العرب على الفضائيات يعلنون كل عقائدهم الضالة من سب الصحابة ولعن أمهات المؤمنين وتكفيرهم وتكفير سائر المسلمين، ومن الغلو في آل البيت بحيث جعلوهم آلهة، ومن الطعن في القرآن الكريم ووصفه بالنقص والتحريف، ومن الطعن في النبي ﷺ واتهامه بخيانة الأمانة والسكوت عن كفر الصحابة، إلى غير ذلك من الأباطيل والترهات، التي يتفوه بها علماء شيعة عرب منذ سنوات على الفضائيات الشيعية الخاصة بل وكان التلفزيون السوري من سنوات طويلة يقدم يوم الجمعة برنامجا لأحمد الوائلي قبل صلاة الجمعة يطرح فيه خزعبلاته الشيعية.

ولو أخذنا أبرز نموذج للشيعة العرب المعاصرين وهو المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله، والذي يوصف بالاعتدال والتعقل، وأنه مستقل عن إيران وحوزات قم، لو استعرضنا بعض التشيع العربي الذي يؤمن به فضل الله سنجد ما يلي:

أنه يحتفظ برأي سلبي تجاه السنة، ويفتي بعدم جواز التعبد على مذاهبهم، والسبب أنه يؤمن بعصمة الأئمة الشيعة، وبالتالي فالمذهب الشيعي - عنده- ليس اجتهادات، بل هو حق لا يأتيه الباطل أبدا، بعكس المذاهب السنية التي أصحابها يصيبون ويخطئون!!

ولذلك يصرح فضل الله أن «ولاية أئمة أهل البيت أساس في قبول العمل»، وهذا يدل على أنه يبطل عبادات وعقائد كل المسلمين السنة، فعباداتهم مردودة غير مقبولة، وإيمانهم ناقص غير تام ولا نافع، وسيكون مصيرهم النار! ولذلك حين سئل عن الصلاة خلف السنة أجاز ذلك من باب التقية!

أما نظرته لولاية الفقيه فلا تختلف عمّا سطره الخميني وغيره من علماء الشيعة، من حيث إعطاء الفقيه السلطات الواسعة، ومساواته بالأنبياء، وجعله فوق الشريعة والقانون، يقول فضل الله: «إن رأي الفقيه هو الرأي الذي يعطي للأشياء شرعية بصفته نائباً عن الإمام، والإمام هو نائب النبي ﷺ، وكما أن النبي ﷺ هو أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، فالإمام هو أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، والفقيه العادل هو أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم».

ولما أثير موضوع تمجيد إيران والشيعة فيها لمقام مزعوم لأبي لؤلؤة المجوسي، قاتل الفاروق الخليفة الثاني، اعتبر فضل الله أن هذا الموضوع ليس واسع الأهمية!

وحين انتقد د. يوسف القرضاوي نشرَ التشيع في العالم السني امتعض من ذلك فضل الله وذمّ القرضاوي وهاجمه واصطف مع إيران في نفي نشر التشيع!

فهذا هو أفضل نموذج للشيعة العرب، وهو نموذج مثالي للطائفية الشيعية البغيضة، وإن كان يشكر له رقة / خبث عبارته بخلاف الكثير منهم ممّن لا يجيد إلا العبارة الخشنة الوقحة.

ونختم بنموذج آخر للشيعة العرب وهو السيد محمد باقر الصدر، مؤلف كتابَي (فلسفتنا) و(إسلامنا)، ومؤسس ومنظر حزب الدعوة الشيعي العراقي، والذي يحكم العراق منذ سنوات من خلال إبراهيم الجعفري، ونوري المالكي، وحيدر العبادي.

فقد كان الكثير من الناس ينظر لمحمد باقر الصدر بوصفه مفكراً متزناً متجاوزاً للروايات الشيعية الغالية والخرافية، لكن الصدر سرعان ما خيب آمالهم، فأصدر لهم كتاباً عن مهدي الشيعة المنتظر، حشاه بكل الروايات الباطلة والطائفية الإرهابية، فجمع بين قبول الخرافات والأساطير وبين الشحن الطائفي العدواني على المسلمين من خلال ترويج روايات تفيد أن مهدى الشيعة إذا عاد سيقتل المسلمين الأحياء ويُخرج الأموات منهم من قبورهم كأبي بكر وعمر فيقتلهم ويحرقهم، وسيمثل بجثث المسلمين وسيحكم بتوراة موسى! ويبدو أن رؤساء الحكومات في العراق يطبقون هذه الروايات التي سطرها لهم مؤسس الحزب.

فيا أيها العقلاء: هذا هو التشيع العربي المعتدل، وهذه أفكاره، ولنا وقفة قادمة مع طائفية الشيعة العرب وكيف أنهم هم الذين بدؤوا الطائفية والعدوان والإرهاب، ولا زالوا مستمرين فيها، وذلك في الشهر القادم بإذن الله عز وجل.

الحوزات الشيعية.. علم بنكهة الخراب (١)

معتز بالله محمد(*)– خاص بالراصد

الحوزة في اصطلاح الشيعة تعني: حوزة العلوم الدينية أو مركز دراسات الفقه والأصول والحديث وما يرتبط بتربية مجتهدين أو دعاة في الشريعة الإسلامية[1]. وهي أشبه ما تكون بالمعاهد الأكاديمية، التي تخصص للدرس والتحصيل، وأصبحت الدروس تلقى في فصول دراسية ويتم اختبار الطالب الدارس للمواد الحوزوية في جميع المراحل بدءاً من المقدمات ومروراً بالسطوح الأولى والعليا وانتهاء بالبحث الخارج[2].

ورغم أن الهدف المعلن للحوزة هو تحصيل العلم، إلا أنها لعبت الكثير من الأدوار الخفية، كإذكاء الصراعات الطائفية، وتمويل الميليشيات الشيعية، بل وتجنيد المقاتلين في بؤر الصراع، كسوريا والعراق ولبنان وهو ما سنتعرض له لاحقا.

مراحل الدراسة

يجب التنبه إلى أن الدراسة في الحوزة ليس لها نظام حقيقي أو كتب مقررة وسنوات محددة بل هي أقرب لنظام الكتاتيب لكن للطلبة الكبار.

وهناك ثلاث مراحل في الدراسة الحوزوية تسمى المقدمات والسطوح والخارج، ففي الأولى يدرس الطالب اللغة العربية بكافة أفرعها من نحو وصرف وبلاغة، إضافة لأصول الفقه وحفظ القرآن وتجويده، ويمنح الطالب لقبا مبتدئا، ثم مرحلة السطوح التي تشمل - بخلاف تدريس الفقه الشيعي وعلم المنطق والكلام والحديث والتفسير- دروسا في الفلسفة، وتمتد مرحلتا المقدمات والسطوح إلى سبع سنوات، يحصل الطالب خلالها على لقب «ثقة الإسلام».

وتأتي المرحلة الأخيرة «الخارج» وفيها يصل الطالب إلى رتبة «مجتهد» حيث يطرح آراءه ونظرياته الفقهية الخاصة عبر تقديم أبحاث حرة في الفقه وقضاياه نقدا وتحليلا. هذه المرحلة ليس لها

(*) كاتب مصري.

(١) الحوزة الإيرانية في القرن الماضي - المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية.

(٢) الحوزة العلمية ـ حقائق وفضائح- شبكة الدفاع عن السنة.

فترة محددة لإنهائها فقد تستغرق سنوات محددة أقلها عشر سنوات وقد تستغرق عمر الطالب حتى نهايته، ويمنح خلالها لقبين، فعند التحاقه بالبحث يطلق عليه «حجة الإسلام» وإذا أجيز بالاجتهاد فإنه يحمل لقب «آيه الله».

قُم رأس الاخطبوط

ومن أهم الحوزات لدى الشيعة حوزة قم في إيران التي يسيطر عليها المرشد الأعلى لـ «الثورة الإسلامية» وتأتي في المرحلة الثانية من حيث الأهمية بعد حوزة النجف العراقية، وخلال حقبة الرئيس صدام حسين، توجه آلاف الطلبة للدراسة في قم، وإن كان الكثير منهم قوبل بالتهميش، لعدم اعتراف الكثير من الشيعة العرب بولاية الفقيه.

يقول عبد المنعم المصلى، ممثل مكتب المرجع الشيعي في النجف: «ولاية الفقيه هي الفكرة والقاعدة التي تستند إليها الدراسة هناك، فمن لا يؤمن بها لا يأخذ فرصته كاملة في طلب العلم»[١].

ولا يقتصر نشاط حوزة قم الواقعة في المدينة التي تحمل نفس الاسم على النشاط التعليمي، فقد شكلت ما يشبه حكومة الظل في إيران، من حيث مراقبتها لعمل رئيس الجمهورية وحكومته وللإعلام والمؤسسات الأخرى في البلاد، بحيث تحرص الحوزة على عدم تجاوز الخطوط الحمر الدينية الشيعية، وخصوصاً في مسائل العقيدة وبخاصة الإمامة وولاية الفقيه وفي الحريات الفكرية والإعلامية والسلوك الاجتماعي للمواطنين[٢].

وعلى المستوى الخارجي لعبت الحوزة دورا هاما في استقطاب الطلاب الشيعة من مختلف دول العالم، ليكونوا فيما بعد ممثلين لنظام الولي الفقيه في بلدانهم، وتكفي الإشارة إلى أن الرئيس السابق لجمهورية جزر القمر العربية عبد الله سامبي تلقى تعليمه في حوزة قُم، وفتح جزر القمر لإيران فأنشأت مستشفيات ومراكز تدريب مهني وبعض المؤسسات الثقافية الأخرى، ما فتح الحديث حول نفوذ إيراني في جزر القمر[٣].

النجف والاستقلالية الزائفة

الحديث عن حوزة قم، قد يطول، ولسنا هنا بصدد الحديث عنها، وإنما التأكيد على أنها رأس الأخطبوط الذي تمددت منه أذرع حوزوية في العديد من الدول العربية والإسلامية، وبعد سقوط نظام صدام حسين في العراق، بدأت الخلافات تعود من جديد وتظهر على السطح بين الحوزة في كل من قم والنجف، حيث خشي الإيرانيون عودة النجف إلى استقطاب الطلاب الشيعة مجددا، وأفول نجم حوزتهم.

وبرز هذا الخلاف واتسع حول العديد من القضايا ومن بينها الحرب السورية، حيث دعت مرجعية قم في إيران، إلى تجنيد المقاتلين الشيعة من أجل الدفاع عن المراقد الشيعية ومساندة بشار الأسد، فيما رفضت المرجعية الشيعية في النجف بالعراق، الذهاب إلى سوريا، واعتبرت الحرب فيها سياسية وليست دينية[٤]. ولكن بالرغم من ذلك فإن عشرات الميلشيات الشيعية العراقية تحارب وتقتل الشعب السوري الأعزل.

لكن هذه الخلافات قد تبدو شكلية ولمجرد تجميل وجه حوزة النجف، وإظهار المرجع السيستاني الذي يقف على رأسها (إيراني الجنسية)

(١) السيستاني يكرس استقلال مرجعية النجف عن قم- صحيفة الحياة- ٤- ٩- ٢٠١٤.
(٢) الحوزة الدينية في قم بين المرجعية وولاية الفقيه- مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط.
(٣) نماذج من قوى إيران الناعمة في المنطقة - ساسة بوست.
(٤) إيران توسع نفوذها في العراق.. والوضع السوري يوسع شقة الخلاف بين مرجعيتيهما- صحيفة الشرق الأوسط ٢١- ٧- ٢٠١٣.

بأنه لا يريد توريط الشيعة في حرب طائفية، رغم أن عدة فتاوى صدرت عن مكتبه بقتال أهل السنة في العراق، بعد تفجيري مرقد «الإمامين» الهادي والعسكري بسامراء، ومن قبل أصدر فتواه الشهيرة عام ٢٠٠٣ بحرمة قتال الشيعة المحتل الأمريكي، واليوم فتوى السيستاني هي التي أنشأت ميلشيات الحشد الشيعي التي تعيث فساداً في المحافظات السنية بحجة التصدي لداعش.

وتتبع الحوزة في النجف التقية في كل ما يتعلق بإذكاء الحرب الطائفية ضد أهل السنة، فرغم تصريحات السيستاني برفض تشكيل المليشيات الشيعية، التي ترعرعت تحت الأعين الإيرانية، فقد شاركت الحوزة في إيران في تمويل هذه المليشيات من أموال الخمس التي يتبرع بها المريدون إضافة إلى تبرعات أخرى تأتي من أثرياء الشيعة، وهناك تقارير تتحدث أن دخل الحوزة العلمية يصل إلى ٦٠٠ ألف دولار يوميا وقد اعترف بذلك عبد الحسين عبطان نائب محافظ النجف(١).

وبخلاف حوزة النجف، التي أقيمت بجوار ما يعرف بمرقد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هناك عدد من الحوازت أشهرها في كربلاء والحوزة العلمية في سامراء وتدور كل هذه الحوزات في الفلك الإيراني، حتى وإن حاولت الحديث عن استقلالية مزعومة، أساسها الخلاف حول ولاية الفقيه، ولعل الحرب التي يشنها الجيش العراقي والأكراد ضد مسلحي تنظيم داعش، بإدارة قاسم سليماني قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، قد كشفت مدى التقارب بين طهران والحوزات العراقية، التي كان لها دور بارز في تجنيد مقاتلي ما يعرف بالحشد الشعبي.

لبنان .. حوزات عسكرية

عمد تنظيم «حزب الله» اللبناني إلى نشر عدد كبير من الحوزات في لبنان، وهناك تباين واضح في عدد هذه الحوزات ففي حين قال أمين عام هيئة أمناء الحوزات العلميّة في لبنان عبد الكريم فضل الله في اتصال هاتفي مع موقع «المونيتور»، إن عدد الحوزات هو ٣٠ حوزة من بينها ١٨ مدرسة منتظمة و١٢ مدرسة غير منتظمة»، فإن بعض الإحصاءات تذهب إلى أن العدد يصل إلى ٣٨ حوزة.

ومعظم الحوزات في لبنان تابعة لـ «حزب الله» الذي عمد بتوجيهات إيرانية إلى نشرها بشكل محموم في جميع المحافظات اللبنانية باستثناء الشمال، فمنذ منتصف الثمانينيات جرى تأسيس عدد جديد من الحوزات الدينيّة، أبرزها: حوزة الرسول الأكرم في حارة حريك برعاية إيرانيّة والمعهد الشرعي الإسلامي برعاية المرجع الراحل محمد حسين فضل الله وغيرهما من الحوزات.

وعلى عكس حوزة النجف، فإن أحدا لا يمكنه الحديث عن استقلالية حوزات لبنان عن إيران، خاصة بعد وفاة فضل الله، الذي كان له بعض الاستقلال عن حوزة قم ومراجعها(٢).

لكن وكعادة الحوزات الشيعية، فإن حوزات لبنان في معظمها ليست سوى قناع لمآرب أخرى، فبخلاف ما أثير عن تصنيع حبوب الكبتاجون المخدرة داخل بعض الحوزات الدينية التابعة لـ «حزب الله»، والتي تورط فيها عبداللطيف فنيش، شقيق القيادي بالحزب، وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية محمد فنيش، فهناك تقارير تتحدث عن عمل الحوزات كغطاء لتجنيد مقاتلين للانضمام للحرب في سوريا وحماية نظام الأسد.

ومنذ سنوات تحولت الحوزات الدينية التابعة لحزب الله، المنتشرة في مناطق ضاحية بيروت الجنوبية والبقاع والجنوب، إلى مأوىً للفاشلين

(١) موقع البينة.

(٢) هل تسيطر إيران على المرجعية الشيعية العربية بعد رحيل فضل الله؟ ملف الأهرام الاستراتيجي- صحيفة الأهرام.

دراسيا والهاربين من جحيم التعليم الأكاديمي والعاطلين عن العمل أو الباحثين عن موقع اجتماعي لا يؤمنه لهم سوى «اللباس المقدس»[1].

كذلك فهناك معلومات أكيدة أن مكاتب حزب الله الرئيسية في حارة حريك بالضاحية بدأت تقوم بحملات تجنيد معظم عناصرها من القاصرين، وبدأت الحملات عبر المساجد والحوزات الدينية الشيعية لتشجيع الفتيان على الالتحاق بـ «الواجب الشرعي» والمحاربة إلى جانب الحوثيين في اليمن[2].

حوزات الأسد

من أشهر الحوزات الشيعية في سوريا حوزة السيدة زينب التي أسسها عالم الدين العراقي من أصل إيراني الشيخ حسن الشيرازي، في منطقة السيدة زينب رضي الله عنها عام ١٩٧٥.

الشيرازي وهو الشقيق الأصغر للمرجع الشيعي محمد الشيرازي، حمل فكرة أخيه في استعادة الفرع الشيعي (العلويين النصيريين) إلى المذهب الأم (الجعفرية الاثني عشرية) ونجح في إقناع شيوخ العلويين بأنهم ينتسبون للشيعة الجعفرية الاثني عشرية، وأكد في بيان «التسمية: (الشيعي والعلوي) تشير إلى مدلول واحد، وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الاثنى عشرية»، وصدر في ديسمبر عام ١٩٧٢ بيان مشترك بذلك، وهذه الفتوى وفتوى موسى الصدر هي التي سوغت لحافظ الأسد تولي منصب الرئاسة في سوريا والتي تشترط الإسلام في الرئيس!!

بعد عام ١٩٨٠ ونجاح ثورة الخميني، وتحالف نظامه مع حافظ الأسد، بدأت إيران في إنشاء العديد من الحوزات، في إطار حملة لنشر التشيع في سوريا وتحويله إلى تشيّع سياسي مشبع بالأفكار الخمينية، وتضمنت الحملة تحويل بعض الأماكن المقدسة لدى فئات أخرى إلى مزارات شيعية، وهدمت القصور والمباني الأموية في دمشق حتى تدخلت منظمة اليونسكو في الأعوام الماضية للحفاظ على ما بقي منها وضمه إلى قائمة التراث العالمي.

وفي عام ٢٠٠٨ حذرت دراسة للمعهد الدولي للدراسات السورية من زيادة عدد الحوزات العلمية في سوريا، وأشارت الدراسة التي نشرت في ١٤٧ صفحة إلى أن التشيع في سوريا يأخذ طابعا دينيا سياسيا مزدوجا عبر الأنشطة الإيرانية التي تقوم على بناء وتمويل الحوزات العلمية.

وبحسب الدراسة فقد لعبت الحوزات دورا كبيرا في تشييع السنة، حيث كان زعماؤها يطوفون على القرى السنية، ويقومون بنشاطهم هناك، ما أسفر عن تشييع ٨٠٤٠ سنيا في الفترة ١٩٩٩ - ٢٠٠٧.

وبإنشاء «مديرية الحوزات العلمية» عام ٢٠٠٥، اتخذت المسألة بعدا آخر، فظهرت حوزات لم تكن موجودة من قبل (الحوزة الحيدرية- الإمام جواد التبريزي- الإمام الصادق- الإمام المجتبى- الإمام الحسين- الإمام زين العابدين- قمر بني هاشم- إمام الزمان- حوزة الشهيدين الصديقين- الإمام المهدي- فقه الأئمة الأطهار، الرسول الأعظم وتعتبر أكبر مؤسسة إيرانية لنشر التشيع في سوريا).

الإيرانيون أنفسهم اعترفوا للأسد بجميل صنعه، وقال موقع «شيعة أونلاين» الإيراني، بأن الرئيس السوري بشار الأسد أصدر مرسوما رئاسيا إلى وزارة التعليم العالي يقضي بتدريس المذهب الشيعي الإثني عشري بالمناهج الدراسية السورية.

(١) «الحوزات» في لبنان: فاشلون دراسيًا باتوا «معمّمين» وجهاز دعاية.. وتجّاراً!- موقع شفاف الشرق الأوسط.

(٢) حملات لتجنيد قاصرين في حارة حريك ردا على عاصفة الحزم- أورينت نت.

صلاح الدين ومؤامرات الفاطميين (٤)
مؤامرة الجند الأمن

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

شكل النصارى الأرمنُ المرتبةَ الثانية في الجيش الفاطمي من حيث العدد والعدّة بعد الجند السودان، الذين تحدثنا عن مؤامرتهم ضد صلاح الدين الأيوبي في العدد الماضي. ومن المعلوم أن العبيديين الفاطميين، أصحاب المذهب الشيعي الإسماعيلي، كانت سياستهم الداخلية تقوم على موالاة اليهود والنصارى، وإعلاء شأنهم، وتوليتهم المناصب الكبيرة، ومنحهم الصلاحيات الواسعة، وكان من آثار ذلك تعرض المسلمين من أهل السنة في مصر والبلاد الواقعة تحت حكم العبيديين إلى صنوف مختلفة من الإيذاء والاضطهاد والتهميش، على يد العبيديين الشيعة واليهود والنصارى، على حد سواء.

كما قامت سياسة العبيديين الخارجية على الصدام مع أهل السنة، والتحالف مع أعداء الأمة، كالصليبيين، واستقدامهم إلى مصر، والتخاذل في مقاومتهم، وكل ذلك من أجل إضعاف الإمارات والدول الإسلامية السنيّة، بما ينسجم مع العقيدة الشيعية التي تجعل السنيّ حلال الدم والمال والعِرض، وتجعل عداوته مقدمة على عداوة غير المسلم، وهو ما تناولناه في الراصد عدة مرات[1].

الأرمن في الجيش الفاطمي

تعود بدايات الوجود الأرمني في الجيش الفاطمي إلى عهد الوزير بدر الجمالي، الذي تولى منصبه سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٤م). والجمالي أرمني الأصل، كان مملوكاً لجمال الدولة بن عمّار، أحد ولاة طرابلس الشام، فاشتهر بالجمالي.

كان الجمالي - قبل أن يتولى منصب الوزارة- والياً لعكّا، في فلسطين، وقد استقدمه المستنصر بالله، خليفة العبيديين، إلى القاهرة لفرض الأمن وإنهاء حالة الفوضى التي سادت آنذاك نتيجة صراعات الجند وأمراء الأقاليم، وقد اشترط الجمالي لقبول الوزارة أن يُحضر معه مَن يختاره من جنده الأرمن ليستعيض بهم عن الجند الأتراك والمغاربة والسودان، فوافق المستنصر على شرطه، وأبحر مِن عكا على متن مائة سفينة مشحونة بالأرمن.

وبعد أن استتبت له الأمور في مصر، أحاط بدر

(*) كاتب أردني.

(١) يمكن على سبيل المثال قراءة المقالات التالية:

❖ العبيديون الفاطميون يعلون من شأن اليهود والنصارى، العدد ٤٠، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5131

❖ سفارات وهدايا بين الفاطميين والصليبيين، العدد ٧٥، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4268

❖ علاقات الفاطميين بالصليبيين بعد الوزير الأفضل، العدد ٧٦، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4238

❖ الفاطميون والصليبيون: مودة حتى الأيام الأخيرة، العدد ٧٧، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4230

الجمالي نفسه بالجند الأرمن الذين عُرفوا بالمشارقة تمييزا لهم عن الأتراك والبربر والسودان، وقد تفانوا في الإخلاص له، واحتفظ أكثرهم بديانتهم النصرانية، وآثروا البقاء في مصر لتعذّر حصولهم على مقومات الحياة في موطنهم الأول (أرمينيا).

وصار الأرمنُ عصبَ الجيش الفاطمي –إضافة إلى السودان- بل بقوا كجيش خاص، عُرف بالجيوشية، نسبة إلى الجمالي، الذي كان من ألقابه: أمير الجيوش، وخُصصت لأفراده حارة، أي معسكر، هي حارة الحُسينية التي كانت للسودان، كما استقدم لهم الجمالي بطريركا يرعى شؤونهم، وخُصّصت لهم إحدى الكنائس.

وكما كان الجمالي عطوفا على الأرمن، مواليا لهم، ولديانتهم النصرانية، كان عطوفا أيضا على الشيعة الإسماعيلية، ساعيا لدعم مذهبهم الذي ضعف بتراجع نفوذ أئمتهم (خلفائهم) فأعاد الأذان الشيعي بحيّ على خير العمل، ونظّم دروساً في المذهب، لكنه في المقابل، ضايق أهل السنة، وقتل كثيرا من علمائهم، وأمر بنقش لعن الصحابة.

واستمرت سياسة تقديم الأرمن في عهد بدر الجمالي، وابنه الأفضل بن بدر، ففي عهد الابن لم يقتصر التفضيل على الجند والجيش، بل امتد ليشمل الوظائف المدنية، حتى عُرف النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (١١م) بعهد الأرمن.

وعاش الجند الأرمن في العصر الفاطمي فترة ذهبية ثانيةً في عهد الوزير يانس الأرميني، الذي لُقّب بناصر الجيوش سيف الإسلام، والذي كوّن لنفسه طائفة من الجند الأرمن عُرفت باسم «اليانسية»، لكنّ خليفة العبيديين، الحافظ، تخلص منه في سنة ٥٢٦هـ (١١٣٢م) بسبب استبداده بالسلطة، ولمّا يمضِ على توليته عام واحد.

وفي جمادى الآخرة من سنة ٥٢٩هـ (١١٣٥م) استوزر الحافظُ أرمينيًا نصرانيًا آخر، اسمه بهرام، ولقّبه بالسيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، تاج الخلافة، غيّاث الأنام ... رغم بقائه على النصرانية.

وبمجرد توليه منصب الوزارة تبنّى بهرام سياسة أرمينية نصرانية ضيّقة، فقد طلب من الحافظ أن يسمح له بإحضار إخوته وأهله من تل باشر[1] وبلاد الأرمن، فأذن له، وبلغ عدد الأرمن في الديار المصرية في عهده حوالي ثلاثين ألفًا، كوّن منهم عصبةً تشدّ أزره، فاستطالوا على المسلمين، وأصاب هؤلاء منهم جورٌ عظيم، وبنوا العديد من الكنائس والأديرة حتى أضحى كل رئيس من الأرمن يُبنى له كنيسة، وقد بلغت من الكثرة حدًّا أقلق المسلمين، وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا مِلّة الإسلام.

وأضحى معظم ولاة الدواوين من النصارى، وأقام الأرمن في القاهرة في حي الحُسينية، خارج باب الفتوح، وولّى بهرام أخاه فاساك (أو الباساك) ولاية قوص في الصعيد، وهي يومئذٍ من أعظم ولايات مصر، فاستقوى بأخيه وتمادى في ظلم المسلمين ومصادرة أموالهم.

ولأن المسلمين من أهل السنة لم يرضوا بذلك الوضع الشاذ، فإنهم رفعوا شكايتهم إلى الحافظ، واستدعوا رضوان بن ولخشي، والي الغربية، للقدوم عليهم وإنقاذهم من سيطرة النصارى، فلبى نداءهم واستطاع هزيمة بهرام، وتولى الوزارة بحكم الأمر الواقع ليكون - بذلك- أول سُني يتولى منصب الوزارة في الدولة العبيدية.

وأخذ رضوان يعيد الأمور إلى نصابها، ويضطهد الأرمن، ويستعين بالمسلمين، الأمر الذي جلب عليه سخط الحافظ، فأمر الجندَ بحبسه، واستمر ذلك سنوات، ثم قتله، وبالمقابل آوى الحافظ بهرام وقرّبه، واتخذه مستشارًا، وعندما مات حزن عليه، وأمر بإغلاق الدواوين ثلاثة أيام حدادًا عليه، وأحضر البطريرك لتجهيزه، وسار هو في مقدمة مشيّعيه، وحوله أعيان الدولة، الأمر الذي يؤكد ما ذكرناه في البداية من موالاة حكام الدولة العبيدية الفاطمية غير المسلمين، وتسليطهم على

(١) مسقط رأس بهرام، وتقع حاليا ضمن الأراضي التركية، وكانت - آنذاك- جزءا من الإمبراطورية البيزنطية.

أهل السنة[1].

المؤامرة على صلاح الدين

وإزاء ما عاشه الأرمنُ النصارى في ظل العبيديين الشيعة من ازدهار ونفوذ، وفي ظل السلطة التي امتلكوها لإذلال المسلمين من أهل السنة، وفي ظل التجربة السيئة التي عاشوها سابقا مع الوزير السني رضوان، كان من المتوقع أن ينظروا بعين الريبة، بل الحقد، لصلاح الدين ولمشروعه الإسلامي السني، الذي كان من ضمن ما يسعى إليه القضاء على العبيديين وخياناتهم، تمهيدا لتشكيل جبهة إسلامية موحدة وقوية تكون قادرة على التصدّي للصليبيين.

وقد تزامنت مؤامرةُ الأرمن على صلاح الدين مع مؤامرة الجند السودان، بل وقفوا منهم موقف المؤازر المساند، فإن السودان لمّا اشتبكوا مع جيش صلاح الدين في أعقاب مقتل زعيمهم الخائن، مؤتمن الخلافة، أخذ الأرمن يعيقون تقدم قوات صلاح الدين من خلال رمي السهام عليهم، وكان معظمهم من الرّماة، فسبب ذلك أذى بالغا لجيش صلاح الدين لشدة رميهم.

إن موقف الأرمن من صلاح الدين يتجدد اليوم، وفي زماننا هذا، ويتمثل بتلك الجيوش التي نشأت في أحضان الأنظمة الفاسدة، واستفادت من فسادها وإفسادها لتتحول من جيوش يُفترض أنها تحمي البلاد، إلى أداة للقمع والظلم بحق الشعوب المتطلعة للحرية والكرامة والعدالة.

القضاء عليها

ومثلما قضى صلاحُ الدين على السودان، فعل بالأرمن، فأحرق ثكناتهم، فما استطاعوا الإفلات، فقبض عليهم، وكان فيها خلق كثير منهم، وقاتلهم، ونفى مَن تبقّى منهم إلى الصعيد جزاء مؤامرتهم، ليصبح الجند الأرمن في مصر أثرا بعد عين. وكان ذلك في أواخر شهر ذي القعدة من سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م)، أي بعد حوالي خمسة أشهر من تولي صلاح الدين الوزارة.

وبالقضاء على الجند السودان والأرمن، تخلص صلاح الدين من القوة الضاربة للدولة العبيدية الفاطمية، والموالية لها حتى النخاع، وبالتالي أصبحت الطريق ممهدة للقضاء على الدولة ذاتها، وإعادة مصر إلى مذهب أهل السنة ودولة الخلافة العباسية، وهو ما تحقق بالفعل بعد عامين.

لقد كان صلاح الدين يعي أن القضاء على الفاطميين من الصعب أن يتم دون القضاء على جيشهم وقوتهم العسكرية، وهو ما يجب أن يتنبّه له أهل السنة اليوم، إذ أن مقاومة العدوان الشيعي المتمثل اليوم بإيران وميليشياتها المنتشرة في العراق وأفغانستان واليمن ولبنان وسوريا تكون من خلال تقليم أظافرها، وإضعاف شوكتها، ولعلّ هذا هو ما تقوم به «عاصفة الحزم» من خلال تدمير المعسكرات ومخازن السلاح التي استولى عليها الحوثيون الشيعة في اليمن، وحليفهم الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح.

للاستزادة:

١- تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٢- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام.

٣- د. أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد.

٤- د. علي محمد الصلّابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس.

٥- هيثم الكسواني، مقال «العبيديون الفاطميون يُعلون من شأن اليهود والنصارى»، مجلة الراصد، العدد ٤٠، شوال ١٤٢٧هـ.

(١) كان أهل السنة في مصر –آنذاك- ينتقدون ما وصلت إليه الأمور من تسلط اليهود والنصارى في عهد العبيديين على المسلمين، وكان الشعراء يدلون بدلوهم، فمثلاً يصور الشاعر الدمشقي الحسن بن بشر الدولة الفاطمية وكأنها تحكم بـ «الثالوث»: الوزير ابن كلّس اليهودي، والعزيز بالله خليفة العبيديين، والوزير الفضل، فيقول ساخراً:

تنصّر، فالتنصّر دين حق ... عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزّوا و جلّوا ... وعطّل ما سواهم فهو عطل

أما نقد سيطرة اليهود، فيعبر عنها الشاعر المصري الحسن بن خاقان، فيقول:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهمو ... ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم ... تهوّدوا، فقد تهوّد الفلك

الأزمة الشيعية ومحددات الخطاب المعاصر

د. عصر النصر(*)– خاص بالراصد

لا يخفى على الناظر في واقع الأمة اليوم، ذلك الانفصام بين خطاب الطائفة الشيعية المتمثل بنظام الحكم في جمهورية إيران وبعض الأحزاب المنبثقة عن التجمعات الشيعية في البلاد العربية والإسلامية، وبين سائر مكونات الأمة، حتى أصبح خطابا منفصلا عن واقع الأمة ومخالفا لمنهجها ومربكا لسيرها، مما يستدعي الوقوف على مضامين هذا الخطاب ومعرفة دوافعه وفهم مقاصده.

يعد الاختلاف العام الذي يصيب الأمم والمجتمعات، من أهم مولدات الأفكار، وأكثرها أثرا في انقسام الناس، فإذا أضيف إلى ذلك السمت السياسي بحيث يكون محفزا على الخلاف وداعما له، عند ذلك يعظم الأمر ويشتد سوءًا.

يعد الخلاف في جيش علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - الخلاف الأول الذي تفرعت عنه كثير من الخلافات وظهرت على أثره البدع، حيث انقسم الناس إلى قسمين؛ موافق ومخالف، فظهر من رحم هذا الخلاف بدعتا الخروج والتشيع، كبدعتين سياسيتين تتعلقان بنظام الحكم، ثم ما لبث الأمر أن تطور بتفضيل علي –رضي الله عنه- على سائر الصحابة واعتقاد الولاية والحكم فيه وفي نسله دون سائر الصحابة –رضي الله عنهم- ، وقد تسبب هذا الاعتقاد بنوع انفصال عن المجتمع وسائر الأمة، كما غذي هذا الانفصام بجملة من العقائد بثها ابن سبأ اليهودي في أوساط الشيعة كالقول بتأليه علي –رضي الله عنه- ، مما عمّق الخلاف والعزلة عند أتباع هذه الفرقة، وعلى ذلك جرى أمر هذه الفرقة في منازعة الأمة سلطانها، وقد مثل هذا المنزع محفزا في حقب التاريخ، ومن أوضحها وأكثرها أثرا، حادثة مقتل الحسين بن علي –رضي الله عنهما- فجعلت هذه الحادثة متكئا للفكر الشيعي ونواة لدولة المستضعفين، حيث أقيمت لها المآتم ودور سميت بالحسينيات، وعيد في كل عام يدعى فيه لأخذ الثأر من أمة لا ذنب لها، حيث يستدعى التاريخ في كل وقت وحين ليشعل نارا في نفوس أبناء الشيعة مما يعمّق بُعدهم وعداءهم لأمتهم، يقول الخميني: «إن المجالس الحسينية التي نقيمها، كلها أخلاق وأحكام ومعتقدات، والمنابر تجسد للناس تضحيات الشهيد على طريق الدين، وتلك هي من إحدى البركات التي حفظت حتى الآن مذهب الشيعة وأحكامه... وهذا الشعار المذهبي هو خير وسيلة للحفاظ على الوحدة الوطنية «(كشف الأسرار ص١٤٢).

مثّل التشيع بنزعته السياسية ومذهبيته العقائدية، ملاذا لأصحاب الدعوات الباطنية، فكان خير سبيل للوصول إلى غايات دفينة النفوس، وقد اتخذ التشيع وأهله متكئا لمقارعة

(*) كاتب أردني.

الدولة الإسلامية عبر التاريخ، من ذلك؛ تعاون الدولة الصفوية مع الحملات الغربية المتوجهة إلى دولة الخلافة العثمانية، مما كان له أثر في إضعاف الدولة وتوقف الفتوحات.

من تأمل في تاريخ الأمة، رأى أنها استطاعت احتواء اختلافاتها وتباين أفكار أبنائها ممن خالف في اجتهاده الكتاب والسنة، فلم يكن ذلك الخلاف داعيا للسيف والقتال، بل كان يجري بين العلماء دون العامة، فيحفظ تدين الناس ويصان معتقدهم، ولم يرفع السيف ويسفك الدم إلا عند أبناء الفرق ذات الطابع السياسي والغلو كالخوارج والشيعة، فالحكم متطلبهم وكل مخالف خصم لهم، فعظمت بذلك البلية على الأمة، وفي العقود الأخيرة من عمر الأمة ظهر التشيع بمظهر المناوئ للأمة والمخالف لسيرها، فاتخذ في رسم سياساته وتعامله مع مكونات الأمة من خلال استحضار محطات فكرية وأحداث تاريخية، قد مضت عليها سنوات طوال، فمن أبرز محددات الخطاب المعاصر لدى الشيعة؛ اعتقاد أن الحكم محصور في علي – رضي الله عنه- و أهل بيته من كان منهم من نسل الحسين –رضي الله عنه- ، وأن ذلك كان لهم وصية دون الناس، يقول الخميني: «وبشهادة كتب التاريخ المهمة، والأخبار المتواترة عن السنة والشيعة، فإن أحدا غير علي بن أبي طالب – من بعد النبي- لم يمتلك مثل هذه الخصال والصفات» (كشف الأسرار ص١٥٣)، وأن الصحابة –رضي الله عنهم- منعوا عليا ونسله هذا الحق، وتبعتهم الأمة على ذلك، وأن أهل السنة هم من قتل الحسين –رضي الله عنه- ومن هنا كانت فكرة الإمامة عند الشيعة أعظم أركان الدين وأكثرها أثرا في فكرهم، وعند النظر في هذه المحددات نجد شدة أثرها على واقعهم اليوم، فكل نظام في العالمين العربي والإسلامي لا يعد نظاما شرعيا إلا إذا كان شيعيا مواليا لآل البيت، ويبنى على هذا بطلان حكم هذه الأنظمة والبراءة منها، وإنما يكون الولاء للنظام الذي تحقق فيه هذا الشرط، وقد استطاع نظام الحكم في إيران من توجيه ولاء الشيعة إليه، فصار قبلة لهم يوجه أفكارهم ومعتقداتهم، وقد اتخذ هذا النظام وسائل متعددة لإحياء التجمعات الشيعية في المنطقة، من خلال البعثات الدراسية، وأهم من ذلك السياحة الدينيّة، فهي مؤثرة جدا في نشر التشيع وأفكاره في أوساط المجتمعات السنيّة، بحجة زيارة المراقد، مستغلة غفلة الأنظمة الحاكمة وحاجتها للتمية، ثم يظهر أثر المحدّدات الأخرى، كالقول بالوصية لآل البيت، حيث يبدو أثره واضحا في إضفاء الشرعية على نظام الولي الفقيه دون غيره، على اعتبار أنه يقوم مقام الغائب المنتظر ونائب عنه، ومن آثار تلك المحددات، نصب العداء للأمة باعتبار مشاركتها في قتل الحسين ورضاها بذلك، مما يشعل جذوة الطائفية ويعزز الانقسام في المجتمعات، ولذلك تجد أدبيات الطائفة الشيعية تقوم بصورة واضحة وأساسية على مخالفة ما تقرر عند عموم الأمة المسلمة، ومحل وجودها ونفوذها وتوسعها يتعلق بالأمة المسلمة دون غيرها، وفي الجانب المقابل تقوم العلاقة مع الدول الغربية على نوع من المصلحة وما تمليه من تعاون، ولا يخفى على الناظر أن هذا التسلط الذي تمارسه الطائفة الشيعية متمثلا بنظام الولي الفقيه في إيران ومن يتبعها من أحزاب، كتدخلها السافر في العراق وسوريا واليمن ولبنان، تسبب بظهور حالات من الغلو في أوساط أهل السنة وقد عملت على انتشاره وإضفاء شيء من الشرعية على ممارساته، وهو عامل مهم لا ينبغي الغفلة عنه، فرفع الشعارات الطائفية والقتل لمجرد النسبة والانتساب والاعتداء على مصالح أهل السنة ووجودهم مع ضعف الأنظمة العربية والإسلامية وتقصيرها في حق أبناء أهل السنة، كل ذلك تسبب في ظهور نزعة الغلو كنوع من المدافعة عن الهوية والوجود في أماكن متعددة.

وفي الختام؛ عاشت الطائفة الشيعية بتعدد أفكارها وتنوع انتماءاتها في حاضنة الأمة فبقيت ببقاء الأمة ولم تهضم من حقها شيئا، حيث مثل

حكم الأمة الضمان لحفظ كل المكونات وتعداداتها، ولا يستقيم أن تتسلط طائفة على تطلب الحكم وتغيب مصالح أمة بكاملها، فيكون ذلك سببا في إذكاء العداء والتفرق، وصرف الأمة عن قضاياها ومصالحها.

إغلاق السودان للممثليات والجمعيات الإيرانية... قراءة في أبعاد القرار

محمد خليفة صديق(*) - خاص بالراصد

كان قرار السلطات السودانية إغلاق مكاتب الممثليات والجمعيات الإيرانية كافة بالبلاد في ٢٠١٥/٣/٢٦م، والذي أوردته وكالات الأنباء العربية والعالمية ونقلته عدد من القنوات الفضائية في نبأ عاجل قراراً متوقعاً، وهو يأتي استكمالاً لقرار إغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم والمركز الثقافي الإيراني بأم درمان وتوابعها في ٢٠١٤/٢/٨م، قبل أقل من شهرين، وكانت وزارة الخارجية السودانية قد طلبت من المستشار الثقافي الإيراني ومعاونيه مغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة، بعد الكشف عن تجاوز المستشارية الثقافية الإيرانية والمراكز لدورها الثقافي والدبلوماسي، حيث جاء القرار كاستجابة لنداءات عدد من علماء الدين الإسلامي في البلاد وتحذيرهم من إمكانية حدوث فتنة مذهبية.

كانت الحكومة السودانية أعلنت مؤخراً على لسان وزير الخارجية على أحمد كرتي أن السودان لم يكن في حلف مع إيران على الإطلاق، وقال: «لم أسمع بهذا الحلف وأنا موجود في وزارة الخارجية، وحتى قبل أن آتي إليها لم أسمع بأن السودان حليف لإيران، واصفاً ما تردد بهذا الشأن بأنه ترويج لفرية، وقال: العلاقة مع طهران لم تتجاوز الدبلوماسية، وهي تشاركنا منابر منظمة التعاون الإسلامي ومنظمة دول عدم الانحياز، ولم يكن للسودان موقف خاص تجاهها ولم يدخل معها في مواقفها المذهبية، ونوه بأن إيران تريدنا أن نكذب على العرب بأننا موافقون على مواقفها، واعتبر ذلك تزييفاً.

ومنذ وقت مبكر- وتحديداً- في العام ٢٠١٢، طفت على السطح خلافات داخل الحكومة بشأن التقارب مع إيران، وخرج وزير الخارجية علي كرتي، في نوفمبر من ذلك العام إلى العلن متحدثا في حوار تلفزيوني مباشر، عن رفض الدبلوماسية للتقارب السوداني الإيراني، بشكله العميق الذي كان يظهر على شاكلة تدريبات مشتركة في سواحل البحر الأحمر حيث ترسو القطع البحرية الإيرانية على ميناء بورتسودان من حين إلى آخر، وأكد الوزير أنه لا يرى مصلحة للسودان في حدوث تقارب شديد مع إيران على حساب علاقاتها مع دول الخليج، ونادى بضرورة توضيح طبيعة العلاقات معها للدول الصديقة إلا أنه أكد أن الجهات التي تود التقارب مع إيران لها أيضا ما يبرر دعمها لهذا التقارب في إشارة منه إلى الاتفاقات مع طهران وعزوف دول الخليج، خاصة المملكة العربية السعودية، عن دعم بلاده.

وطبقا لمصادر فإن وزارة الخارجية كانت على قناعة بأن التقارب مع إيران يضر كليا بمصالح السودان مع دول الخليج، وأشارت إلى أن نافذين في الوزارة لم يملوا، وعلى مدى سنوات، من تنبيه قيادة الدولة إلى الخطر الذي يمكن أن يجلبه ذلك التقارب على المدى الطويل.

سنحاول من خلال هذا المقال قراءة أبعاد قرار السودان إغلاق مكاتب الممثليات والجمعيات الإيرانية كافة بالبلاد، وتبعات ذلك القرار على المؤسسات الإيرانية بالسودان وأتباع المذهب الشيعي، بجانب توضيح تلك المؤسسات التي تم إغلاقها وما تقوم به في أرض السودان.

(*) كاتب سوداني.

تمهيد تاريخي:

تاريخيا بدأت حركة التشيع في السودان في عام ١٩٨٦ بعد توجيهات مباشرة من المرجع الشيعي المدرسي، ومجموعة من الطلبة بحوزة الإمام القائم العلمية، حيث أتى هؤلاء للسودان وأسسوا جمعية الرسالة والتضامن الإسلامية، وكانت هذه الجمعية هي اللبنة الأولى والأساس في نشر التشيع.

وبعد الجمعية استمر التشيع في الانتشار مخترقاً بعض شرائح المجتمع سيما سكان أطراف المدن وغير المتعلمين، وأثر في عدد من التكوينات الاجتماعية، وبدأ تأثيره يتسع ليشمل بعض النخب الثقافية والفكرية، أو على مستوى عامة الناس بحيث أصبح له حضور محسوس.

بدأت التحرك الشيعي الرسمي في السودان بافتتاح أول مركز ثقافي إيراني في السودان عام ١٩٨٨ في عهد رئيس الوزراء السابق ورئيس حزب الأمة القومي الصادق المهدي، وقد تزايد نشاط المراكز وتوابعها بعد وصول حكومة الإنقاذ للحكم في عام ١٩٨٩.

تتركز أنشطة المراكز الثقافية الإيرانية الظاهرية على تنظيم دورات في تعلم اللغة الفارسية وعقد المسابقات وتأسيس المكتبات وتزويدها بالمؤلفات الشيعية، حيث أن لكل مركز ثقافي منها مكتبة عامة مفتوحة للجمهور، وهي تشرف على تنظيم رحلات سنوية لزعماء وشباب بعض الطوائف الصوفية وللشباب السودانيين لزيارة إيران، إضافة لمسابقات في مجال القصة القصيرة والرواية والتشكيل بالتركيز على الخط الفارسي.

وقد حاول الايرانيون نشر التشيع في السودان عبر عدة وسائل أهمها المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية والمكتبات والمسابقات وتكوين الروابط والجمعيات وقبول الطلاب وإعانتهم وتوزيع الكتب وغيرها، وفي الجانب الشعبي نشطت إيران في نشر التشيع واللغة الفارسية والاحتفالات الشيعية مثل مولد المهدي والمسابقات الثقافية مثل جائزة الخميني للقصة القصيرة.

المؤسسات الإيرانية في السودان:

عندما شعرت إيران أن الأجواء مواتية لتوسيع نشاطها في السودان، بدأت تتوسع في إنشاء مؤسسات وواجهات مختلفة لنشاطها، ونسجت المؤسسات الإيرانية بالخرطوم علاقات واسعة مع زعامات القوى المؤثرة في السودان وبيوت الطرق الصوفية خاصة بزعم الاشتراك في حب آل البيت النبوي، ثم تغلغلت في أوساط الطلاب عبر نشاط المستشارية الثقافية بالخرطوم، والبعثات التعليمية لجامعات الجمهورية الإيرانية، وتقول بعض المصادر المطلعة إن للشيعة انتشارا بين طلاب الجامعات عبر بيوت الطلبة التي تستأجرها لهم المؤسسات الإيرانية بالخرطوم.

ثم بدأ النشاط الشيعي يركز على المنح الدراسية والتعليمية من أجل دراسة المذهب الشيعي للطلاب السودانيين، بجانب بعض التخصصات العلمية والدراسات العليا في مجالات مثل الطب وغيره، ولم تكن الحوزة العلمية في قم وجامعة الإمام الخميني هما الوجهة الوحيدة لهؤلاء، وإنما شملت أيضاً الحوزة العلمية في النجف بالعراق، وحوزة دمشق. وعادة ما تكون دورات المراكز الثقافية بعاصمتي البلدين الخطوة الأولى، قبل تلك المنح والبعثات.

كما ظهرت المشاركة الإيرانية في المعارض والفعاليات الثقافية بالبلدين، حيث كانت معارض الكتاب، والمعارض الخاصة مناسبات هامة لنشر وتوزيع الكتب والإصدارات وعقد الندوات التي تروج للفكر الشيعي. بجانب المسابقات الثقافية والأدبية وهي الآلية التي تطورت مؤخراً وكانت قاصرة على السودان، من خلال جائزة الإمام الخميني للقصة، والتي أعلنت عنها الملحقية الثقافية الإيرانية بالخرطوم في يناير ٢٠١١، واللافت أن المشاركة فيها تعددت اللغة العربية والإنجليزية للغة الفارسية، في سابقة لم تشهدها البلدان العربية من قبل. وقد أوجدت تلك البرامج الثلاثة، قنوات اتسمت بالديمومة وحافظت على الترويج ونشر

الثقافة الإيرانية التي تخدم ظاهرة التشيع السياسي والمذهبي.

بدأت مؤسسات نشر التشيع تتوسع بالسودان تحت مسميات ومنظمات عدة، وفي مختلف جوانب الحياة لتشمل:

١ - المراكز الثقافية.

٢ – المكتبات العامة.

٣- المؤسسات التعليمية والثقافية.

٤- الجمعيات والروابط والمنظمات.

٥ - مؤسسات اقتصادية ومشاريع استثمارية.

وفيما يلي رصد لبعض المؤسسات والجمعيات الإيرانية التي شملها قرار الإغلاق:

١- جمعية الصداقة السودانية الإيرانية:

تعد جمعية الصداقة السودانية الإيرانية من أهم المثليات الإيرانية ذات الغطاء الشعبي، وهي تنضوي تحت لواء مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالخرطوم، وهي مؤسسة شبه رسمية تعمل في مجال تعميق الصداقة بين الشعوب أو ما يعرف بالدبلوماسية الشعبية، وقد ترأسها في بدايات نشأتها وزير خارجية السودان الأسبق د. مصطفى عثمان إسماعيل، ويرأسها حاليا المهندس عبد المنعم السني.

ويحوي مجلس الصداقة الشعبية العالمية عددا من جمعيات الصداقة، من بينها جمعية الصداقة السودانية الإيرانية، وهذه الجمعية مرتبطة بالسفارة الإيرانية مباشرة، وقد أسهمت هذه الجمعية في تنشيط المراكز الثقافية الإيرانية وغيرها من الأنشطة الدعوية الشيعية، وهي تحظى بدعم بعض السياسيين من البلدين، وقد تمكنوا من خلال هذا المجلس والجمعية من الاتصال بجمعيات الصداقة الأخرى، وكذلك بالطلاب الوافدين خاصة من الدول الإفريقية.

وقد ترأس جمعية الصداقة السودانية الإيرانية في بعض الاوقات القاضي الدكتور المكاشفي طه الكباشي عضو مجمع الفقه الإسلامي السوداني، وهو شخصية لها اعتبارها عند العامة نظراً لارتباطه الكبير بالصوفية، فهو من أسرة صوفية معروفة بمنطقة الكباشي شمال الخرطوم، وكان له دور كبير في إقرار قوانين الشريعة الإسلامية إبان حكم الرئيس الأسبق جعفر نميري، وقد ترأسها كذلك في بعض الأوقات وزير الدولة بوزارة العدل الأسبق أمين بناني المحامي وغيرهم.

٢- المؤسسات الإيرانية التعليمية بالسودان:

أ - **المدارس**، وهي على النحو الآتي:

١- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية للبنين بمنطقة الحاج يوسف في محافظة شرق النيل بالخرطوم. أنشئت هذه المدرسة في هذه المنطقة الشعبية أملاً في إقبال الطلاب عليها نظراً للظروف الاقتصادية لعدد من سكان هذه المنطقة، وقربها من بعض مناطق انتشار التشيع في منطقة أبو قرون بشرق النيل وغيرها.

٢- مدرسة الجيل الإسلامي لمرحلة الأساس للبنين بمنطقة مايو جنوب الخرطوم، وهي أيضاً منطقة نائية في أطراف العاصمة، وذات كثافة سكانية عالية ويغلب عليها الفقر، ويقطنها النازحون إلى العاصمة من جنوب السودان وغربه.

٣ - مدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو جنوب الخرطوم أيضاً.

ب : **المعاهد**، وهي على النحو التالي:

١ - **معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات**: وهو من أخطر مراكز نشر التشيع بالسودان؛ إذ لا يقبل سوى حَفَظَة القرآن الكريم، ويلاحظ تركيزهم على حفظ القرآن ممن لا يحملون علوماً شرعية أخرى لهدف واحد وهو قبول الناس واحترامهم لحافظ القرآن الكريم وخصوصاً أبناء الأرياف والقرى، ومن ثم وبعد التأثير عليهم يُرسل من حفظ منهم القرآن إلى قريته ويتبنى، إما فتح خلوة له أو بناء مسجد يؤمه هو، أو أن يكون إمام مسجد القرية القديم، ثم يبدأ التأثير على أهل قريته

وقبيلته ليكونوا من دعاة التشيع.

ومن السهل ملاحظة أن شروط القبول في هذا المعهد، وضعت لتخدم هدفهم المراد، ومنها:

أ - حفظ القرآن الكريم كاملاً.

ب - أن يكون عمر الطالب أقل من سبعة عشر عاماً!

ت - أن يكون الطالب سوداني الجنسية.

ث - أن يكون الطالب معافى من العاهات المستديمة.

ج - أن يكون الطالب صوفياً.

ويتكون المعهد من ثلاثة طوابق، وفيه قسم داخلي كبير للطلاب يحوي كل وسائل الراحة، وفيه مطعم يقدم ثلاث وجبات يومية مجاناً، وبه غرف وأسرَّة لكل الطلاب، وبالمعهد مكتبة ضخمة فيها جميع كتب الرافضة والمذهب الجعفري وكتب الفلسفة والمنطق وغيرها، وفيها جهاز فيديو ومكبرات للصوت للأذان، ومن مرافق المعهد قاعة للمطالعة، ومسجد للصلاة، ويقدم المعهد لطلابه كل ما يحتاجون إليه من ملابس وأحذية وغذاء وعلاج ووسائل ترحيل.

وللمعهد أقسام دراسية ثلاثة:

١- قسم التجويد: ومدة الدراسة فيه سنتان، يمنح الطالب بعدها شهادة إجازة في التجويد.

٢- قسم القراءات: ومدة الدراسة فيه أربع سنوات، يمنح الطالب بعدها شهادة إجازة أهلية في القراءات.

٣- القسم الثانوي العلمي: ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، يمنح بعدها الطالب شهادة إجازة أهلية في العلوم الدينية.

٢- **معهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بمنطقة الفتيحاب بمحافظة أم درمان:** أنشئ في سنة ١٩٩٦م، لاستقطاب طلاب الخلاوي والكتاتيب القرآنية، وقد وقعت في المعهد بعض الجرائم والتجاوزات الأخلاقية، فتم على إثرها إغلاقه.

٣- الجمعيات والروابط والمنظمات:

يوجد بالسودان عدد كبير من الروابط والجمعيات ذات الصلة بإيران، وتعمل كلها في مجالات ذات صلة بنشر التشيع، أبرزها:

جمعية أصدقاء المركز الثقافي الإيراني: وهي جمعية تضم كل شيعة السودان والمتعاطفين مع إيران وثورتها، وهي أكبر جمعياتهم، وتتم عبرها اللقاءات مع المدعوين للتشيع، وتتم فيها اللقاءات والاجتماعات وإلقاء المحاضرات وتقديم الكتب والهدايا من قبل مدير المركز.

١- رابطة الثقلين.

٢- رابطة آل البيت.

٣- رابطة المودة.

٤- رابطة الظهير: وهذه الرابطة والروابط الثلاث السابقة هي عبارة عن روابط طلابية يشرف عليها بعض خريجي الجامعات الإيرانية والسورية واللبنانية والتركية، ولها أنشطة مختلفة كإقامة الندوات والمحاضرات، وإصدار مجلات حائطية ومطويات، ويقوم المركز الثقافي الإيراني بتمويل هذه الروابط المذكورة من أجل القيام بأنشطتها؛ بالإضافة إلى دفع الرسوم الدراسية للأعضاء، وتأمين ملابس وكتب دراسية ومبالغ مالية للمواصلات، وغير ذلك مما يحتاجه الطلاب.

٥- رابطة الزهراء، وهي رابطة خاصة بالطالبات بالمدارس والمعاهد والجامعات، وتشرف عليها إحدى أهم الناشطات بالحركة الشيعية النسائية في السودان، وهي أيضاً عضو مهم ومؤثر بالاتحاد النسائي الإسلامي.

٦- رابطة سفينة النجاة الثقافية الإسلامية، وهي رابطة تشكلت من مجموعة من الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الإيرانية، وتهدف إلى إدارة شؤونهم كطلاب سودانيين في إيران، وهي إحدى اللافتات الشيعية المهمة في السودان، وهي رابطة نشطة جدا خاصة في بعض قرى شمال كردفان مثل أم دم حاج أحمد.

٨- جمعية آل البيت الخيرية: وهي فرع للجمعية التي تأسست في إيران عام ١٩٦٠م، وتصدر مجلة اسمها «الهدي المحمدي».

٩- جمعية الثقلين الخيرية: تشرف هذه الجمعية حسب بعض المصادر على المساجد والزوايا ذات الميول الشيعية.

١٠- منظمة طيبة الإسلامية، وهي تعنى بإنشاء المدارس والمعاهد، ويتبع لها بعض المعاهد والمدارس سالفة الذكر، كما يتبع لها ما يعرف بـ «مجلس أمناء المدارس الإيرانية بالسودان»، والذي يضم عدداً كبيراً من الشخصيات السودانية الموالية للرافضة في السودان.

١١- منظمة جهاد البناء (جهاد ساندكي): وهي منظمة تعمل في أنشطة متنوعة، وتشرف على نشاط لبعض المؤسسات الطبية الإيرانية، مثل المركز الطبي الايراني بأم درمان، ومركز صحي خاتم الأنبياء الذى كان يقع بشارع الجامعة بالخرطوم جوار الإدارة العامة للمرور.

٥- المكتبات العامة:

تركز إيران على بسط ثقافة التشيع والثقافة الفارسية عبر توزيع الكتب ونشرها وإقامة المكتبات العامة، حيث تركز إيران على أن يكون لكل مركز ثقافي من المراكز الثقافية الإيرانية والمؤسسات الأخرى مكتبة عامة مفتوحة للجمهور، وقد توسعت إيران في إقامة خمس مكتبات بالسودان مثل مكتبة الكوثر بحي السجانة، ومكتبة مركز فاطمة الزهراء بحي العمارات، ومكتبة معهد الإمام جعفر الصادق بحي العمارات، وكلها في منطقة وسط الخرطوم، ومكتبة مدرسة الجيل الإسلامي بحي مايو جنوب الخرطوم، وهو حي شعبي ذو كثافة سكانية عالية، وأغلب من يقطنه من أبناء دارفور والفلاتة ومكتبة بالبوستة بأم درمان.

وقد استفادت تلك المؤسسات مجتمعة من الإعفاءات الجمركية التي وردت في الاتفاقيات الثنائية التي وقعت بين البلدين في بعض الأوقات في إدخال الكتب والأشرطة المسموعة والمرئية، وقد بلغ عدد الكتب الشيعية التي أدخلت للسودان على سبيل المثال قرابة ١٠ ملايين كتاب على أقل تقدير.

وهناك المكتبة العامة الضخمة في المركز الثقافي الإيراني في كل من الخرطوم وأم درمان؛ وهناك كذلك عدد من المكتبات داخل الحسينيات والجمعيات والروابط.

٦- الحسينيات:

من مظاهر التشيع في السودان انتشار الحسينيات والزوايا الدينية الشيعية، والتي كانت أكثر وضوحاً بالسودان، فالحسينيات تسمح للشيعة بحرية ممارسة صلاتهم وتنظيم الاحتفالات الدينية.

تشير بعض المصادر إلى أن للشيعة بالسودان قرابة ١٥ حسينية وزاوية، أغلبها بالخرطوم، وأشهرها حسينية المرتضى، التي تقع شرق العاصمة الخرطوم، ينظم فيها منتدى دوري يتناول الأمور الخاصة بالطائفة الشيعية. وعملها أقرب للسرية ليس تخوفا من السلطات السودانية، حيث تغمض عيناها حيال نشاطها، ولكن تخوفا من الجماعات السلفية المتشددة، وتشير التقارير إلى أن هذه الحسينيات لها مكتبات مقروءة وصوتية، وعبرها يتم الحصول على بعثات دراسية للحوزة العلمية في إيران والعراق.

والحسينيات موزعة بين الخرطوم وولايات كردفان والنيل الأبيض ونهر النيل، وفي أول ملتقى شيعي تم بصورة علنية في عام ٢٠٠٩ وحضره حوالي ألف من شيعة السودان، كما يتم تنظيم احتفال سنوي بعيد مولد السيدة فاطمة الزهراء ويوم القدس العالمي وذكرى الخميني والمهدي.

٧- مؤسسات اقتصادية ومشاريع استثمارية:

بعد بروز الوجود الإيراني في الساحة السودانية، بدأ هذا الوجود في التوسع في الجانب الاقتصادي عبر بيع النفط والغاز الإيرانيين للسودان، عقب حرب الخليج وغضبة دول الخليج على السودان بسبب موقفه آنذاك، وقامت إيران بتأسيس مجموعة من الشركات والمشروعات الاستثمارية

والاقتصادية والمنح المحدودة، وسعت لاستغلال تلك المشروعات ضمن جهود إيران في نشر التشيع في السودان.

ويقال إن إيران كانت لاعباً قوياً في استخراج والتنقيب عن النفط والغاز في السودان، وما تبع ذلك من نشاطات اقتصادية إيرانية، حيث رفع الإيرانيون شعار الأهداف السياسية والاقتصادية في خدمة نشر المذهب الشيعي.

ومن أبرز الأنشطة الاقتصادية الإيرانية في السودان، ما يلي:

١- **شركة إيران غاز**: وهي إحدى أهم الشركات العاملة في تعبئة أنابيب الغاز ونقلها وتوزيعها في السودان، ويعمل في هذه الشركة وتوكيلاتها عدد كبير من السودانيين، ولها فروع في عدد من مدن ومناطق السودان، وهي لا تعطي توكيل إيران غاز إلا لمن كان شيعيا أو قريبا من التشيع ليكون مصدر دخل للمتشيع، وتقام في الشركة ومقراتها كل مظاهر التشيع، حيث تعتبر مركزا من مراكز التشيع في التوظيف وتوزيع التوكيلات للشركة، وقد تمت تصفية الشركة وبيعها لمستثمر آخر، وسيتم تحويل اسمها من إيران غاز إلى اسم آخر.

٢- **المطعم الإيراني**: وقد أقيم في مبنى فخم من ثلاثة طوابق يطل على شارع المطار، وشارع رقم ١٥ بحي العمارات، إلا أنه أخفق من ناحية اقتصادية وتم إغلاقه.

٣- **مشاريع المنح الأخرى**: مثل طرق السلام، الذي يربط مدينة رَبَك ومدينة الجبلين بولاية النيل الأبيض بالجنوب الأوسط للسودان، وقد عملت في الطريق عدد من الشركات الإيرانية، في الفترة بين (١٩٩٤- ١٩٩٩) ، حيث حاول القائمون على أمر الطريق نشر التشيع من خلال العمل في القرى حول الطريق، وقد طالت مدة إنجاز الطريق، وهو لم يكتمل حتى الآن.

٤- **الاتفاقيات الاقتصادية**: تم توقيع عدد من الاتفاقيات الاقتصادية بين السودان وإيران بقيمة ٤٠٠ مليون دولار، وخاصة فيما يتعلق بتبادل الخبرات في مجالات الزراعة عن طريق إنشاء مزرعة نموذجية مشتركة وتصدير بعض المحاصيل والمنتجات الزراعية السودانية إلى إيران، والصناعة بإنشاء مصانع سكر وألبان ومصنع للسيارات والجرارات والمقطورات، إضافة إلى إبرام اتفاق للتعاون في كل من المجال العلمي والنفط والتعدين والعمل المصرفي.

٥- مشروعات وشركات في مجال المياه وتعبئتها.

٦- مشاريع زراعية وحيوانية.

ومن خلال هذه المشروعات الاقتصادية سعت إيران لاستغلال الفقر الذي يعانيه عدد من السودانيين في نشر التشيع، وذلك بتوفير الوظائف للبعض وإعالة الطلاب للبعض الآخر عبر المؤسسات مباشرة أو المراكز الثقافية والأفراد.

خاتمة:

يلاحظ أن الاهتمام الإيراني بالسودان تركز على الشعب والدولة كلاً على حدة، فإيران تنظر للسودان كدولة تستطيع من خلالها تنمية علاقاتها الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية معها، كما ظلت تنظر للسودان كدولة لها نفوذها الديني الإقليمي، وامتدادها العميق باتجاه الغرب الإفريقي والجنوب الساحلي معـزَّزة بثقل تاريخي هائل، ولذلك فإن قرار حكومة السودان بإغلاق المؤسسات الإيرانية بالبلاد كافة يمثل قاصمة ظهر للنشاط الشيعي في السودان.

وفي جانب الاختراق الشيعي للمجتمع السوداني تظل بوابة التصوف هي أكبر معبر لدخول التشيع إليه، رغم أن عددا كبيرا من البيوت الصوفية المشهورة تبرأت من التشيع وأهله، بجانب المؤسسات الصوفية مثل المجلس الأعلى للتصوف والمجمع الصوفي العام، ولم يتبقّ إلا بعض الجيوب المحدودة مثل آل أبو قرون الذين ينتمي إليهم النيّل أبو قرون أحد أبرز رموز التشيع بالسودان وأحد أفراد بيت آل حاج الماحي بمنطقة الكاسنجر بشمال السودان،

وهنـاك اهتمـام إيرانـي بقطـاع مـا يُسمى بـ (الأشـراف) ممـن لهـم انتمـاء للبيـت النبـوي في مـصر والـسودان، ممـا يحـتم ضـرورة اسـتمرار جهـود محاربـة التـشيع علـى كـل المـستويات، حتـى يعـود الـسودان خاليـاً مـن أي نابتة للتشيع.

ومحاربـة الوجـود الـشيعي في القطاعـات الـشعبية تحتـاج لتـضافر جهـود العلمـاء والمؤسـسات العلميـة والدعويـة الرسميـة والـشعبية للوقـوف أمـام أي محـاولات لنـشر فكـر الـشيعة في الـبلاد، باعتبـاره فكـرا خطـيرا ودخـيلا يهـدد طبيعـة الـسودان الدينيـة والتاريخية.

بكين +٢٠
استراتيجية جديدة للتمكين

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

تـسير المـؤتمرات الأمميـة المتعلقـة بـالمرأة بخطـوات ثابتـة لتحقيـق أهـدافها دون الالتفـات لتحفظـات الـدول أو معارضـة الـرأي العـام لمـا تطرحـه هـذه المـؤتمرات مـن أفكـار مـستوحاة مـن القالـب الثقـافي الغربـي باعتبـاره النمـوذج الأرقـى كمـا يزعمـون، فالحـضارة الغربيـة المعاصـرة هـي صـانعة النظـام العـالمي الأبـوي الـذي يـدير العـالم ويـزعم أنـه ممثـل لكـل الـشعوب والثقافـات وأنـه ينـتهج مـنهج الحـق والعـدل بينمـا هـو يـد الحـضارة الغربيـة وعقلـها، ولا يتـضح ذلـك كمـا يتـضح في القـضايا المتعلقـة بالمرأة والأسرة.

فبعـد أن أصـدرت الأمـم المتحـدة اتفاقيـة إلغـاء كافـة أشـكال التمييـز ضـد المـرأة المعروفـة بـ «الـسيداو» دفعـت الحكومـات للتوقيـع عليهـا وسمحـت لهـم بـالتحفظ علـى بعـض البنـود الـتي يرونهـا مخالفة للشريعة أو الثقافة.

(*) كاتبة مصرية.

وأصـبحت اتفاقيـة الـسيداو ملزمـة، ولكـن الاتفاقيـة علـى الـرغم مـن كـل الملاحظـات عليهـا كانـت أقـل مـن طموحـات المـشرّعين الأمميين للعـالم ومِـن خلفهـم جماعـات الـضغط النـسوية المتطرفـة ومـن ثـم كانـت الخطـوة التاليـة المهمـة في مـشروعهم وهـي عقـد مـؤتمرات عالميـة لمناقـشة قـضايا المـرأة كـان أخطرهـا ذلـك المنعقـد في بكـين في العـام ١٩٩٥ حيـث صـرح المـؤتمر بكـثير مـن الأمـور الـتي كانـت تعـد غامـضة في اتفاقيـة الـسيداو ودعـا صـراحة لمخالفـات شـرعية واضـحة متعـددة متعلقـة بتقييـد الـزواج وإباحـة الزنـا والـشذوذ وحريـة الإجهـاض وتم الـربط بمهـارة بـين مـؤتمر بكـين هـذا واتفاقيـة الـسيداو الملزمـة الـتي تم التوقيع عليها.

مـؤتمر بكـين هـذا يعتـبر حجـر الزاويـة في البنـاء العـالمي المتعلـق بـالمرأة والأسـرة لـذلك تـتم متابعـة مـا يطلـق عليـه منهـاج عمـل بكـين سـنويا وكـل ٥ سـنوات يـتم عقـد جلسة موسـعة لمتابعـة مـا تم تنفيـذه ومـا لم يـتم، ولمـاذا لم يـتم؟ وكيـف يمكـن تمريره؟وآخـر هـذه المتابعـات هـي الجلـسة ٥٩ الـتي انعقـدت مـن ٩- ٢٠ مـارس الماضـي للجنـة وضـعية المـرأة بـالأمم المتحـدة بمناسـبة مـرور عـشرين عاما علـى وثيقـة بكـين، وصـاحَب هـذه الجلـسة دعايـة إعلاميـة مكثفـة، واسـتغلت الجمعيـات والمنظمـات غـير الحكوميـة العاملـة في مجـال المـرأة علـى خطـى المـؤتمرات الأمميـة هـذه الفرصـة للـضغط علـى الحكومـات وإحراجهـا والحـصول علـى أكـبر قـدر من التنازلات منها.

نلحـظ ذلـك بوضـوح مـن مقـولات بعـض الناشـطات اللـواتي يـتجهن للمجتمـع الـدولي باعتبـاره الملجـأ الآمـن الـذي ستُحاسـب فيـه الـدول المتهمـة بأنهـا لا تـسير علـى الـصراط المـستقيم وتنفـذ منهـاج العمـل الـذي وضـع في بكـين. تقـول زينـب ثابـت – مؤسـسة حركـة كرامـة بـلا حـدود –(إن موقـف مـصر سـيكون في الأمـم المتحـدة أمـام لجنـة وضـعية المـرأة في دورتهـا ٥٩ صـعبًا للغايـة لأنهـا لا تمتلـك دلـيلاً

إيجابيًّا واضحًا على قدرتها على تحقيق تمكين سياسي للنساء في مصر ولم تحقق تقدمًا ملحوظًا فيما يختص بآليات واضحة تخص تحقيق المساواة بين الرجال والمرأة فلا يمكن أن يكون النجاح الذي قدمه المجلس القومي للمرأة كآلية وطنية للمرأة ويدافع عنه خلال جلسة وضعية المرأة بالأمم المتحدة هو سن قانون لمكافحة التحرش الجنسي فقط!).

جدول الأعمال

فما الذي ناقشته الدورة ٥٩؟ وما هو جدول أعمالها؟ الدورة ٥٩ كان على جدول أعمالها عدة موضوعات أبرزها:

- كفالة خدمة الاقتصاد لمصالح المرأة والفتاة.
- الاستثمار في المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة.
- إدخال تغيير جذري في الحياة السياسية والعامة من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين.
- المساءلة عن تحقيق المساواة الفعلية لصالح المرأة والفتاة.
- كما تناقش هذه الدورة الآليات الوطنية لتحقيق المساواة بين الجنسين ونتائج أنشطة بكين + ٢٠ التي اضطلعت بها لجان الأمم المتحدة الإقليمية.
- توفير الموارد لتحقيق المساواة بين الجنسين.
- تغيير الأعراف الاجتماعية من أجل تحقيق هذه المساواة.

إنهم يطمعون في المساواة الكاملة والمتماثلة في العام ٢٠٣٠ لذلك فهم يبحثون بدأب واهتمام عن وسائل جديدة لتحقيق أهداف قديمة، أو كما قال الأمين العام للأمم المتحدة بان كيمون:(إن النساء إذا تحسنت أحوالهن فسيتحسن حال الإنسانية وإذا بقيت الفتيات متخلفات فسيتأثر العالم أجمع من ذلك لذلك علينا أن نبني على أسس بكين ونكمل عملنا فمنذ مؤتمر بكين استفادت الفتيات من التعليم وتراجعت وفيات الأمهات بنحو النصف وهناك مزيد من النساء يُدرن شركات ويترأسن حكومات ومنظمات دولية). وفي نهاية كلمته أشار إلى أن الهدف هو ٥٠ - ٥٠ في أفق ٢٠٣٠ وبالطبع لم ينس الأمين العام دعوة الحكومات للتنسيق الوثيق مع الجماعات والمنظمات النسائية التي تسعى لتمكين النساء..

ولاشك أن هذه المنظمات النسائية لديها قدرة أكبر على التحدث بجرأة لا تمتلكها الحكومات التي تريد الحفاظ على شعبيتها وعدم الاصطدام مع الرأي العام، لذلك تم مطالبة هذه الجمعيات بمزيد من الجرأة في الطرح ومن ذلك ما دعا إليه رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة سام كوتيسا للانخراط أكثر للمساعدة في كسر الصور النمطية والقوالب الاجتماعية التمييزية حيث قال: (إن علينا أن نغتنم هذه الفرصة التي تمثل أمامنا للتقدم في هذه المحادثات الهامة وضمان المتابعة لقراراتنا واتخاذ قرارات جريئة لإزالة العقبات التي تمنع النساء والفتيات من استغلال إمكاناتهن والمساهمة الكاملة في تطلعاتنا المستقبلية للتنمية).

إن كل التغيير في التشريعات والتعديل في دساتير الدول لا يكفي من وجهة النظر الأممية لإحداث التغييرات الجذرية المطلوبة، فمديرة وكالة الأمم المتحدة للمرأة فومزيل ملامبو- نغكوكا تقول: (بأن الدول التزمت قبل ٢٠ سنة، في إطار سلسلة من الإعلانات والوثائق الدولية بالمساواة بين الجنسين في أفق ٢٠٠٥ غير أننا نلاحظ أننا اخترنا إعطاء الأولوية للأعمال التي لم تفضِ إلى تغييرات جذرية فالتنفيذ ما زال غائبا رغم إجازة التشريعات وتعديل الدساتير).

إن السيدة مديرة وكالة الأمم المتحدة للمرأة كانت تتوقع الوصول لمرحلة ٥٠ - ٥٠ في أفق ٢٠٠٥ وهو مالم يحدث بالفعل. ووفقا لتحليلها أن السبب هو الاهتمام بالأعمال التي ليس لها الأولوية ربما كالرعاية الصحية للأم والطفل ونسيت أن هذه الخدمات كانت بمثابة الشرك الذي يبيض وجه هذه المؤتمرات في وجه الداخل، والسلاح الذي

تتقي بـه النسويات النقد الذي يوجه إليهن وهن ينفين بصورة قاطعة أنهن يدعون للانحراف والشذوذ والإجهاض ويدعين أنهن يقدمن خدمات للمرأة الفقيرة والمهمشة كالخدمات الصحية مثلا، ولكن السيدة مديرة وكالة الأمم المتحدة لشئون المرأة ترى أن هناك قضايا أكثر إلحاحا وأهمية للوصول وهذا ما تنبه له البيان الذي أصدره الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وبين أن الجديد الذي سيكون له الأولوية بعد العام ٢٠١٥ هو (إدخال مصطلح «مساواة النوع Gender Equality» ضمن الأجندة التنموية لما بعد عام ٢٠١٥ من خلال إدماج منظور الجندر gender perspective، وضمان أن قمة الأمم المتحدة لاعتماد أجندة مابعد ٢٠١٥ في الفترة من ٢٥- ٢٧ سبتمبر ٢٠١٥ تسهم بشكل كبير في تحقيق مساواة الجندر. (تعرّف الهوية الجندرية بأنها: «شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى» وفقا للموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica وجمعية علم النفس الأمريكية (American psychological association.

تطبيق مساواة النوع Equality Gender – بخلاف إقرار حقوق الشواذ جنسيا- يعني إلغاء لكافة الفوارق التشريعية بين الذكر والأنثى، مثل التشريعات الخاصة بالزواج والطلاق والإرث والقوامة والوصاية والولاية وغيرها، وهو ما يتهدد الأسرة بالتفكك والانهيار، بسبب تغلغل روح الصراع والنزاع فيها).

أصداء الداخل

أحدثت الجلسة ٥٩ حالة من الحراك الشديد داخل مجتمعاتنا العربية في حالة من التماهي مع فكرة عام ٢٠٣٠ نصل لـ٥٠– ٥٠.

ففي مصر قامت مجلة «نصف الدنيا» النسائية بعمل مؤتمر كبيرحضره رئيس الوزراء في سابقة هي الأولى من نوعها، ولعل أبرز ما جاء فيه كلمة السفيرة ميرفت التلاوي التي رأست الوفد المصري في الأمم المتحدة حيث قالت: (٢٠٣٠ وهذا هو عنوان المؤتمر، لابد أن نمكنها اقتصاديا وسياسيا، أي نقوم برفع الفقر والجهل عنها خاصة في الريف وذلك بعمل آلية مبسطة في كل قرية يقدم قرضا للفئات المهمشة لأنه إذا استمر وضعها بهذا المستوى لن يتغير أبدا).لنلاحظ أن ميرفت التلاوي ربطت بين التمكين الاقتصادي والدعم المادي وبين التمكين السياسي المطلوب والذي يوجد بداخله الكثير من التفاصيل الدقيقة والخطيرة.

ليست مصر وحدها التي تماهت مع أطروحة ٢٠٣٠ ففي قطر تناولت حلقة نقاشية للمؤسسة القطرية للحماية والتأهيل الاجتماعي «تمكين المرأة القطرية وأدوارها المستقبلية وفقاً لرؤية قطر ٢٠٣٠» وذلك في ختام الفعاليات التي أقيمت على هامش معرض «بيدي أُبدع» الذي أقيم لمدة ٤ أيام وإن كان من الملاحظ على الفعاليات القطرية والخليجية عموما الاهتمام بالحلول العملية التي تساعد النساء على القيام بدور في الحياة العامة والعمل بحيث لا يتعارض مع البيت والأطفال ومن ذلك العمل نصف دوام ووجود عدد كاف من الحضانات ومنح الأم خدمات مميزة كإجازة الوضع وساعات الرضاعة وغير ذلك، وفي البحرين توقعات أن تزيد نسبة مشاركة المرأة البحرينية الاقتصادية عن الرجل البحريني في العام ٢٠٣٠ بنسبة ٥١٪.

تقول رئيسة جمعية سيدات الأعمال البحرينية وسفيرة رواد الأعمال في الأمم المتحدة، أحلام جناحي لإحدى الصحف عندما سئلت عن أهمية إدماج قضايا النوع الاجتماعي في المجال الاقتصادي:(إن إدماج النوع الاجتماعي في المجال الاقتصادي بالذات مسألة مهمة لأنه من وجهة نظر اقتصادية يعني أن المرأة يجب أن يكون لها الحق في العمل مثلها مثل الرجل في كل الأحوال والظروف.وبالتالي لا يجب بأي حال من الأحوال التفرقة بين الرجل والمرأة لمجرد النوع فقط، وكما أسلفت فإن المرأة في المملكة تخوض غمار المنافسة مع الرجل في شتى المجالات بدءاً من الاستثمار الصناعي ووصولاً إلى محلات التجزئة، وذلك في

ظل مناخ يؤمن بتكاملية الأدوار بين الرجل والمرأة، لخدمة الاقتصاد الوطني لبلادنا).

وشمل الحراك تحالف بعض الجمعيات النسوية في الداخل والخارج والقيام بحلقات نقاشية موسعة حول عوائق تمكين النساء كما حدث من مؤسسة المرأة والذاكرة ومركز قضايا المرأة المصرية ونظرة للدراسات النسوية حيث عقدوا حلقة نقاشية موسعة في نيويورك وجاء في الدعوة التي تم بثها للمشاركة في الحلقة النقاشية الحوارية أنها تدور في ظلال الجلسة ٥٩ للأمم المتحدة (لقد مرت الحركة النسوية في مصر بالعديد من الموجات المتعددة للتغيير وخطابات متعددة من النشاط، محققة إنجازات عديدة مثل مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية في عام ١٩٩٤ وإعلان مؤتمر بيجين في عام ١٩٩٥.

ولقد اشتبكت الحركة النسوية مباشرة مع السياقات السياسية والمجتمعية المختلفة في العقود السابقة. ومع ذلك، في ظل التدفق العارم للنساء في المجال العام في بضعة السنوات الماضية، حيث تم حشد الكثير من الناشطات والمدافعات عن حقوق الإنسان والنسويات في ظل سياق إشكالي للغاية، يتوغل به حالة الإفلات من العقاب والاستقطاب والعنف المتفشي ضد المرأة في كل من المجالين العام والخاص، أصبح الخطاب النسوي الحالي مُحمّلا بالأعباء المتعلقة بالتغيرات المجتمعية الحادة والخطابات السياسية التي تتسم باختلاف شديد.

وسوف تقدم هذه الندوة، والتي يتم عقدها بالشراكة بين كل من مؤسسة المرأة والذاكرة ومركز قضايا المرأة المصرية ونظرة للدراسات النسوية، رؤية متفحصة للتحديات التي تواجه الحركة النسوية الحالية في مصر وتلقي الضوء عليها، بالإضافة إلى نجاحات وإخفاقات متعلقة ببناء الحركة النسوية في سياق يتسم بالعنف السائد ضد النساء والخطابات التي يتم تبنيها لمواجهة تلك التحديات).

إنه نفس الهدف الرؤية المتفحصة للتحديات والتقييم ومن ثم طبيعة الخطاب الذي ينبغي تبنيه، بل إن هناك تقريرا موازيا على المستوى العربي تقوم به الجمعيات النسوية في ٢٢ دولة عربية يقيّم تطبيق قرارات بكين في الوطن خلال سنوات ١٩٩٥-٢٠١٥ هذا التقرير الخطير تضمن توصيات من أهمها ضمان مساءلة الصناديق الائتمانية الخيرية (مثل صناديق الأوقاف والزكاة) حيث بلغت الوقاحة بالجمعيات النسوية التي لا تحصل على أي دعم من الداخل وتعيش على التمويل الأجنبي أن تتطلع لزكاة أموال المسلمين لنشر فكرهم المنحرف تحت زعم تحسين الحماية الاجتماعية وتحديد الفئات المستهدفة للإعانات النقدية.

مزيد من الضغوط

خطورة ما جاء في هذه الجلسة دفعت الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لإصدار بيان تفصيلي بشأنها لعل أهم ما فيه (والأخطر من ذلك كله، ما جاء في البند الأخير من الإعلان السياسي من العزم على اتخاذ إجراء تاريخي لتحقيق تقدم لا رجعة فيه بشأن مساواة النوع Gender equality واستقواء المرأة Women Empowerment وغيرها من المطالبات التي تعتبرها تلك الوثائق «حقوقا» للنساء والفتيات، والتي نرى أن كثيرا منها هو في حقيقة الأمر إهدار حقيقي لحقوق النساء والفتيات وليس العكس. وينبئ هذا البند بعزم الأمم المتحدة على ممارسة المزيد والمزيد من الضغوط العنيفة على الحكومات، لضمان تحقيق أجندتها، وقطع الطريق على أي معارضة لتلك الأجندة بشكل نهائي!

ويظهر جليا مقاومة كثير من الشعوب لمحتويات تلك المواثيق، بدليل ما اعترف به الإعلان السياسي نفسه من أنه برغم مرور عشرين عاما على المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، إلا أن المساواة التامة لم تتحقق في الكثير من الدول، وهو ما يدل على تعارضها وتصادمها مع الفطرة الإنسانية، ولكن الأمم المتحدة تصر على تجاهل إرادات الشعوب، متحدية لها، وتمارس المزيد من الضغوط على

الحكومات لتتعهد باتخاذ المزيد من الإجراءات لتحويل المعايير الاجتماعية).

اتخاذ إجراء تاريخي لتحقيق تقدم لا رجعة فيه بشأن مساواة النوع Gender equality واستقواء المرأة Empowerment Women ماذا يعني هذا الإجراء التاريخي؟ ولماذا في هذا التوقيت بالذات؟ وهل أعطى النسويات والعلمانيون في بلادنا الضوء الأخضر لمثل هذا الإجراء؟ هل يرون أنه قد تم حرث الأرض جيدا بأفكار المساواة والتمكين والجندر ومن ثم فهي مستعدة لمثل هذا الإجراء؟ أم أنهم لم يحققوا القدر الكافي من النجاح فقرروا الاستمرار في الحرث بالقوة الناعمة وحتى عام ٢٠٣٠ وفقا لعملهم الاستراتيجي المخطط له ومن ثم يكون الوقت قد حان لخطوات تاريخية غير مسبوقة متعلقة بشكل وكيان الأسرة؟

والسؤال الأخير هل سنظل نحن نرقب ونحلل ونقف دائما في مساحة رد الفعل أم أنه قد آن الأوان لممارسة فعل استراتيجي مخطط لتمكين الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها أن تعود لتأخذ وضعها الطبيعي وفقا لسنن الله في خلقه؟

بداية النهاية للإرهاب الإيراني بالعالم العربي

عامر عبد المنعم(*) – خاص بالراصد

بدأت نهاية المشروع الإيراني بالمنطقة، وانتهت الطموحات الفارسية في التمدد، مع ولادة عاصفة الحزم، وتكوين الحلف العسكري الذي يضم ١٠ دول عربية لمنع الاحتلال الشيعي لليمن؛ فالصحوة جاءت من المملكة العربية السعودية التي قلبت السحر على الساحر، وقررت التصدي لهذا المشروع الطائفي الذي اقترب من استهداف أرض الحرمين.

لم يهنأ الإيرانيون بما اعتبروه عودة الإمبراطورية الفارسية بالسيطرة على صنعاء، العاصمة العربية الرابعة، بعد بغداد ودمشق وبيروت، فسرعان ما تحولت الأفراح الإيرانية إلى لطميات على ضياع هذا الوهم مع أول تحرك عسكري لوقف الانقلاب الحوثي المدعوم من إيران ومنع الفرس من التمدد جنوب الجزيرة العربية.

ظن الإيرانيون أنهم سيسرقون اليمن كما سرقوا العراق وسوريا ولبنان، وظنوا أن الطريق ممهدة لابتلاع كل جزيرة العرب واستعادة إمبراطوريتهم التي هدمها الإسلام، ودفعهم الغرور فور سيطرة الحوثي على صنعاء إلى إعلان سيطرتهم على الشرق الأوسط وراحوا يدّعون الزعامة ويطالبون دول المنطقة بالرضوخ للهيمنة الإيرانية!

هذه الأفراح الفارسية الزائفة كانت مجرد دعاية يخاطبون بها الداخل الإيراني ولا تعبر عن واقع المعارك على الأرض، فهذا التمدد الإيراني بالمنطقة كان برعاية صليبية وحماية أمريكية، وليس بمعارك خاضها الشيعة بأنفسهم ضد المسلمين، وهذا التمدد كان محسوبا من قبل الدوائر التي استخدمت الشيعة لتخريب المنطقة، فالغرب استخدم إيران وحلفاءها كأدوات وليس كشركاء، وما حققوه من مكاسب سرعان ما سيزول مع صحوة الأمة والوقوف ضد مشروعها الطائفي.

ظل المخلصون من أبناء الأمة يحذرون من خطر المشروع الإيراني فترة طويلة، ولكن كانت المواقف الرسمية بعيدة عن تحمل مسئوليتها، فحقق الإيرانيون بعض التوسعات، وتحالفوا مع أعداء الأمة في قتال أهل السنة وارتكاب الفظائع التي سودت صفحات تاريخنا المعاصر من إرهاب أسود تجاه كل ما هو سني، وشاء الله أن يحدث التغيير في السعودية مع تولي الملك سلمان الذي جاء في لحظة تاريخية فارقة،

(*) كاتب مصري.

فأنقذ المملكة وغير سياستها التي كادت أن تُسلم أرض الحرمين لإيران.

شكل قرار الملك سلمان بالتصدي للمشروع الشيعي

لإنقاذ اليمن من الانقلاب الميليشياوي ومنع تحويل اليمن إلى قاعدة للحرس الثوري الإيراني بداية النهاية للمشروع الشيعي، وحشد الأمة ضد المشروع الفارسي الذي لا يقل خطورة عن المشروع الصهيوني، إن لم يكن هو الأخطر، لكونه مشروع احتلال وإبادة.

لماذا تريد إيران السيطرة على اليمن؟

المشروع الإيراني مشروع عرقي يعمل على استعادة إمبراطورية فارس الغابرة، والهيمنة على كل بلاد العرب، كما يهدف الإيرانيون إلى السيطرة على الحرمين. وتأتي الهيمنة على كل اليمن لوضع السعودية ودول الخليج بين فكي كماشة، فالسيطرة على المضيقين هرمز وباب المندب يجعل الإيرانيين يتحكمون في المنطقة من عُمان واليمن جنوبا وحتى العراق وسوريا شمالا، وهذا يعطيهم أوراقا من القوة تزيد من وزنهم أمام القوى الدولية ويصبح العرب رهينة في يد الفرس.

لو سيطر الشيعة على اليمن ستكون عراقا ثانية يسيطر عليها الحرس الثوري الإيراني، وسيتحول اليمن إلى قاعدة عسكرية فارسية تعطي إيران زمام المبادرة والقدرة على التحرك خارج السيطرة، ولتم نقل الصراع إلى داخل السعودية، ولهذا لو تأخرت السعودية أسبوعا واحدا لتمكن الحوثيون وإيران من بسط احتلالهم على شمال اليمن وجنوبه، ولكانت المعركة قد حسمت لصالح الشيعة وإيران، ولو حدث ذلك –لا قدر الله- لكنا ننتظر تكرار تجربة القرامطة الشيعة في الحرم الذين قتلوا الآلاف وسرقوا الحجر الأسود.

الموقف الأمريكي والأوربي تجاه عاصفة الحزم

ساندت الولايات المتحدة والدول الأوربية الانقلاب الحوثي، ولعبت الأمم المتحدة دورا جوهريا في تسليم الميليشيا الطائفية مقاليد الحكم في صنعاء من خلال مبعوثها المغربي جمال بن عمر، وظلت الأمم المتحدة توفر الغطاء السياسي للانقلاب حتى آخر لحظة.

قدم الحوثيون والإيرانيون أنفسهم للأمريكيين على أنهم سيقومون بالحرب بالوكالة ضد «الإرهاب» واستغل الأمريكيون الطموحات الإيرانية في استعادة الإمبراطورية الفارسية المتوهمة في إثارة الفوضى ضمن المشروع الأمريكي الكبير لتقسيم المنطقة وتفتيتها، وكان الاتفاق بين الأمريكيين والشيعة هو السيطرة على اليمن الشمالي فقط، في إطار تقسيم اليمن إلى دولتين، وظل الأمريكيون يساندون الحوثي ويتسترون على الإرهاب الحوثي في المحافظات التي سيطرت عليها الميليشيات الشيعية إلى أن خرج الحوثيون والإيرانيون عن الاتفاق، وأرادوا التوسع والتمدد لابتلاع كل اليمن.

بدأ الموقف الأمريكي يتغير مع هجوم الحوثيين بالطيران على عدن وقصف قصر المعاشيق في محاولة لقتل الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي، والهجوم للسيطرة على العاصمة الجنوبية لليمن، ثم الزحف تجاه الجنوب في تعز ولحج والضالع وشبوة وحضرموت والسعي للسيطرة على باب المندب وبحر العرب وحتى ساحل عُمان؛ فالأمريكيون يستخدمون الشيعة في مخطط التقسيم وتفتيت الدول العربية وليس لسيطرة إيران على كل المنطقة وإقامة إمبراطورية فارس المندثرة.

هذا الموقف الأمريكي جعل الولايات المتحدة لا تمانع عندما قررت السعودية التحرك دفاعا عن وجودها ولمنع سيطرة إيران على اليمن ومن أجل إنقاذ اليمنيين من الإبادة الطائفية.

دلالات عاصفة الحزم

أنقذت عاصفة الحزم الأمة من المشروع الإيراني الذي يخرب الدول ويبيد الشعوب وكان هذا التحالف العسكري الاستراتيجي تحركا فاصلا له ما بعده، وستتكشف مع الأيام النتائج الكبرى لصالح الأمة ومستقبلها، ويمكن تلخيص أهم دلالات هذا التحالف فيما يلي:

- لأول مرة في تاريخ الدول العربية والإسلامية يتم ولادة كيان عسكري سني، وتعد مشاركة ١٠ دول عربية وإسلامية في تحالف تقوده السعودية نقلة كبرى تقلب كل الحسابات، وتفرض واقعا جديدا، يعيد رسم خريطة توازنات القوى بالمنطقة ويعلن عن بداية لسياسة جديدة للمنطقة على أساس الهوية العقدية.

- تحالف عاصفة الحزم تحول استراتيجي غير مسبوق للدول العربية، فهو عمل عسكري يسبق التحالف السياسي وهذا غير معهود في العالم اليوم، حيث من المعتاد نشوء الحلف السياسي أولا بعد مناقشات مستفيضة ثم الاتفاق على الأهداف السياسية التي تحقق أهداف الأعضاء، وهذا يعني أن هناك إحساسا بالخطر جمع أعضاء التحالف بشكل فوري اختصر الكثير من الخطوات التحضيرية، وهذا التحالف يمكن تكراره في أي أخطار مشابهة، وهذا هو الأهم.

- لأول مرة منذ حرب أكتوبر ٧٣ يتحد العرب في معركة صحيحة ضد عدو حقيقي وهذا يعني تغيير خريطة التحالفات، وتعديل السياسات في الاتجاه الصحيح بدلا من الانخراط في معارك وهمية تستنزف الطاقات وتبدد القدرات في الاتجاهات الخطأ.

- تعمد المملكة إنجاز تحالف عاصفة الحزم قبل عقد القمة العربية بالقاهرة خطوة مقصود منها إبعاد الجامعة التي قد تتحول إلى قيد وعائق بسبب بعض الحكومات الموالية لإيران، وهذا يعطي المملكة القدرة على إدارة العملية العسكرية بحرية والانفراد بتحديد السيناريوهات التي تحقق الهدف المرجو منها.

- تعد عاصفة الحزم أول تحرك سني ضد المشروع الإيراني الذي يستهدف المنطقة، ونزول المملكة بثقلها في هذه المواجهة يضع نهاية للمشروع الإيراني الذي كاد أن يسيطر على كل منطقة الخليج، فتسخير إمكانات الدول في مواجهة إيران هو الذي يفسد المكر الشيعي.

- عاصفة الحزم تحرك دفاعي وليس هجوميا، فلو تمكن الحوثي وإيران من حكم اليمن فالمعركة التالية ستكون في مكة والمدينة داخل الحدود السعودية، فمن الناحية الإستراتيجية حرمان الخصم من امتلاك قاعدة متقدمة خير من أن تتركه يتمكن ويهاجمك في عقر دارك.

- ستصحح عاصفة الحزم الكثير من السياسات الخاطئة للحكومات العربية وتعيد التقارب بين المواقف الرسمية والشعوب فالحرب تعيد صياغة العلاقات بين الحكومات وبعضها من ناحية، وبين الحكومات والشعوب من ناحية أخرى بشكل أفضل يصب في اتجاه حشد طاقات الأمة لمواجهة العدو المحارب.

- تحالف الدول العربية لمواجهة المشروع الإيراني الفارسي في اليمن سيؤدي إلى تصحيح السياسة في العراق وسوريا، فليس من المنطقي أن يواجه العرب إيران في الجنوب ويعملون لصالحها في الشمال، ومن المتوقع أن نشهد تحسنا سريعا في الأداء العربي في سوريا بشكل خاص لدحر المشروع الإيراني وتقليم أظافره.

- إبعاد إيران عن مضيق باب المندب ومنعها من السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وعدم منحها منطقة نفوذ جديدة تمكنها من تهديد المنطقة العربية يعيد الاهتمام العربي بهذه المنطقة والعودة إليها بعد انسحاب ليس له تفسير.

يمكن القول إن كل الحسابات المتعلقة بالمنطقة ستتغير بعد عاصفة الحزم، فلذا التحرك السعودي ليس مجرد تحرك عسكري في معركة صغيرة، وإنما هو انقلاب استراتيجي سيعيد بناء الحالة العربية تحت الإكراه نحو الأفضل، وواقع الحرب سيغير الكثير من الولاءات ويعيد بناء التحالفات، وسيغير النظرة تجاه الخصوم والأعداء ويجعلها وفق منطق صحيح، فالحروب تصحح المواقف ضد المشروعات المعادية الحقيقية، وتبدد الكثير من نفخ الشياطين التي تريد أن تصنع للأمة عداوات غير حقيقية لاستنزافها وتشتيت شملها.

عاصفة الحزم هي أول تحرك صحيح للدول العربية ضد مشروع معادٍ مجرم، ورغم أن التحرك جاء متأخرا لكنه والحمد لله أتى في لحظة مهمة أنقذت الأمة من خطر ظل يدمرها قطعة قطعة، وكاد أن يطعن قلبها ليقضي عليها ولكن شاء الله أن يحدث التغيير، فهذه الأمة لن تموت، وستنتصر على كل خصومها بإذن الله.

إشكالية د. طه جابر العلواني

صباح العجاج(*)– خاص بالراصد

أبلغني أحد الأصدقاء عن ملتقى علمي لجمعية الحديث الشريف في الأردن وبرعاية الجامعة الأردنية يناقش «منهجية التعامل مع السنة النبوية»، ومن محاوره التي جذبت انتباهي مناقشة كتاب د. طه جابر العلواني «إشكالية التعامل مع السنة النبوية».

ولأنّي كنت قد كتبتُ عن هذه الشخصية، ويعرف صديقي أني متابع لأخباره، طلب مني الكتابة عن هذا الرجل، ولذلك قررت أن أكتب عن إشكالية الرجل نفسه وليس عن كتابه «إشكالية التعامل مع السنة النبوية».

بدايةً طه جابر العلواني عراقي من مواليد عام ١٩٣٥م، من مدينة الفلوجة بمحافظة الأنبار، حصل على شهادة الدكتوراه من الأزهر سنة ١٩٧٣، ويعدّ من تلامذة علامة العراق الشيخ أمجد الزهاوي رحمه الله، درّس في السعودية سنين عديدة مادة أصول الفقه، وتولى مناصب فيها، وكان له دور مهم في تأسيس معهد الفكر العالمي، وقبل ذلك كان من مؤسسي الحزب الإسلامي العراقي، ومن قياداته.

والعلواني كاتب معروف وله قلم سيال، وذهن وقاد، وذكاء متميز، ولا زال نشطا في كل المناصب التي تولاها ليومنا هذا، وهو يعيش حاليا في القاهرة.

التأسيس: طه جابر العلواني ابن قديم لبيئة الإخوان المسلمين في العراق، وتتلمذ على أفكار علامة العراق أمجد الزهاوي، في حقبة زمنية تميزت بالنفوذ الشيوعي وانتشار الإلحاد في العالم العربي والإسلامي، وكانا الهمّ المسيطر على الحركات الإسلامية بمناظرته ومقاومته، وكان كابوس التخلّص من الاستعمار ومخلفاته مسيطرا على الحركات الإسلامية، إضافة للهدف الأول لهذه الحركات ألا وهو عودة الإسلام لسدة الحياة بعد أن تعرّض لهجمة شرسة من قبل التيارات اليسارية والقومية والوطنية ونبز التيارات الملتزمة بالرجعية لتجعل الدين تاريخا وهمّا ثانويا في حياة هذه الشعوب.

كانت هذه الهموم المسيطرة تصرف تفكير التوجهات الإسلامية عن المخاطر الأخرى الداخلية؛ والتي كانت أحد أهم الأسباب لتقويض الخلافة العثمانية، وهو خطر الفرق الإسلامية المنحرفة في تاريخنا، والذي ظل علماء العراق - على سبيل الخصوص - يحذرون منه لعدة قرون.

فتأثرت هذه النخب الإسلامية العراقية الجديدة برؤية مصرية تحمل العداء والهمّ الاستعماري الغربي الخارجي، ولا تفهم التشيع وخطورته، وتركز نظرها إلى المخاطر الأخرى التي سبق ذكرها.

ونتج عن إغفال علماء العراق لخطر التشيع مشاكل عدة لا زلنا نعيش نتائجها من تغييب الوعي عند الشباب وجعل هدف مقارعة هذا الداء شأنا ثانويا، ومؤسف أن نقول إن من بين هؤلاء العلماء والوجهاء كبارا ورموزا من أهل السنة، أمثال: العلامة أمجد الزهاوي، ومحمد محمود الصواف، وعبد العزيز البدري رحمهم الله جميعا، والذي يهمنا شخصية العلامة أمجد الزهاوي، لأنه شيخ العلواني، وكان العلواني ينقل عنه أنه كان لا يفرق بين السنة والشيعة ويكرر

(*) كاتب عراقي.

مقولته: هؤلاء – الشيعة- إخواننا مسلمون مثلنا، قبلتنا واحدة، ديننا واحد، قرآننا واحد، نبينا واحد، متفقون على تحريم ما حرم الله، وإباحة ما أباح، وفرضية ما افترض».

كانت هذه من البصمات الأولية على العلواني، والتي وضحت في كتابات العلواني ومقولاته وتساهله في مدح وتمجيد المرجعية وعلماء الشيعة والتعاون التفصيلي معها، وتصريحات العلواني قديمة في مدح مرجعية محسن الحكيم وحكمتها، وكان هذا واضحا في مقدمة كتابه عن حياة أمجد الزهاوي الذي ألفه كاظم المشايخي رحمه الله[1]، مكيلا المديح لمراجع الشيعة؛ من أمثال محسن الحكيم ودورهم في بناء العراق، ذامّا حكومة صدام حسين والبعثيين، متكلما عن تاريخ الحركة الإسلامية العراقية دامجا الحركة السنية بالشيعية.

في شبابه ساهم العلواني في تأسيس الحزب الإسلامي الذي يمثل الجانب السياسي لجماعة الإخوان المسلمين[2]، والذي استمر خلال فترة الستينات إلى أن أوقف بتاريخ ١٩٧١/٤/٥، وغادر قادته العراق مثل د. نعمان السامرائي، وفليح السامرائي ومنهم طه جابر العلواني[3].

كانت من مهام الحزب الإسلامي الأساسية مقاومة الشيوعية بتعاون كبير مع الأحزاب الشيعية، كحزب الدعوة الذي تأسس سنة ١٩٥٩، ويلمح المطالع لتاريخ الإخوان بقلم العلواني أن ثمة مبالغة كبيرة في كلامه حول ذلك، فيذكر العلواني أنّه قدم أحد قيادات حزب الدعوة وهو طالب الرفاعي في مؤتمر للإخوان ١٩٦٠م ليلقي كلمة دون طلب من طالب نفسه.

والعلواني معروف بثنائه المستمر لعلماء الشيعة ومراجعهم ونذكر نموذجا، يقول العلواني: «وقد كان – والحق يقال – لبعض أئمة إخواننا الشيعة ومجتهديهم دور أساسي في تلك الثورة الكبرى (ثورة العشرين) والتي لولاها لما وجد العراق بحدوده الجغرافية»[4]، وكرر ذلك في كتابه مؤخرا «العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات»، ويبدو أن الشيعة عثروا على كنز عراقي فريد؛ لأن العلواني يروّج للتقريب بين الشيعة والسنة في أفكاره وطروحاته؛ لذلك لا نستغرب أن وجدنا مجموعة من مؤلفاته طبعتها دار الهادي اللبنانية الشيعية في الفترة بين (٢٠٠٠- ٢٠٠٤) منها:

- كتاب إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر.
- مقدمة في إسلامية المعرفة.
- الأزمة الفكرية ومناهج التغيير.
- مقاصد الشريعة.
- الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر.
- نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة.

وكل هذه المؤلفات تناسب وتزاوج الطرح السني والشيعي.

كما أنه شارك في كتابات عديدة في مجلات شيعية منها: الاجتهاد والتغيير الشيعية اللبنانية، ومجلة البصائر الشيعية التي تصدر عن مركز دراسات حوزة الإمام القائم.

(١) مقدمة كتاب «الإمام المجدد أمجد بن محمد سعيد الزهاوي فقيه العراقيين والعالم الإسلامي»، كاظم المشايخي، ص (١٠- ١١) لطه جابر العلواني، والذي أطنب في مدح الشيعة والثناء عليهم، كما سيأتي، إلاّ أن هذا الفعل- التقديم – لم يكن بإذن- كاظم المشايخي مؤلف الكتاب، فأعاد طبع الكتاب من جديد في بغداد، وهي الطبعة الشرعية.

(٢) انظر «أمجد الزهاوي ١٨٨٣- ١٩٦٧، دراسة تاريخية»، لمجول محمد محمود جاسم العكيدي، رسالة دكتوراه في كلية التربية، قسم التاريخ في جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص (٢٦).

(٣) الحزب الإسلامي العراقي دراسة في الأفكار والمواقف في ضوء انتخابات ٢٠١٠م، د. خميس دهام حميد.

(٤) مقدمة كتاب الإمام المجدد أمجد الزهاوي (١٠- ١١).

هل استمر العلواني في تنظيم الإخوان؟

في زيارة لعمان قبل عدة سنوات التقيت أحد قياديي حقبة الستينيات من إخوان العراق وسألته عدة أسئلة عن تاريخ الحزب، كما سألته عن طه جابر العلواني، فقال: قد صدر بحقه قرار إبعاد من الإخوان، فسألته عن الأسباب؟ فقال: من الأسباب تردده إلى إيران دون علم مسبق من الحزب، وهذا الكلام في أوائل السبعينيات (أي زمن حكم شاه إيران) والغريب أن في سيرته التي كتبها في موقعه أنه كان يجيد اللغة الفارسية!!

وهناك حادثة أخرى حدثت في بغداد أخبرَ بها من جرت الحادثة في منزله سنة ١٩٦٨، فعندما أطاح حزب البعث في العراق بحكومة عبد الرحمن عارف، حيث كان الإخوان في العراق في أقوى أوقاتهم وكان عندهم قرابة ٣٠٠ ضابط في الجيش العراقي، ولم يكن حزب البعث يملك هذا العدد في الجيش، وكان يمكن لأي وحدة أو لواء عسكري السيطرة على القصر الجمهوري، فقرر بعض العسكريين الانقلاب بخطة محكمة، وكان الجميع مجتمعاً في منطقة زيونة منتظرين ساعة الصفر، ولكن دخل طه جابر العلواني ليخبرهم أنّ السفارة الأمريكية لم توافق على الانقلاب، وأترك للقارئ أن يضع ألف علامة استفهام على الحادثة وعلى هذا الرجل!

خارج العراق: مارس العلواني أكثر نشاطه خارج العراق في معهد الفكر العالمي، وكان الرجل يدعو لتجديد في الدين وعلومه على طريقة د. حسن الترابي، مع انضباط أكثر إلا أن هذه الأفكار لم تبرز يوم أن كان يدرّس في السعودية فقد كان مقربًا من العلماء الملتزمين.

وكان العلواني ومَن على شاكلته يستخدم طريقة خبيثة للطعن بالسنة، تدور على جعل القرآن المرتكز الأول، والسنة فرعا تابعا غير مؤسس ولا منشئ للأحكام الشرعية؛ ولذلك كان أصحاب هذا التوجه يميلون لتضعيف كم كبير من الروايات وإن كانت صحيحة دفعا لمتونها التي لا تتناسب مع توجهاتهم؛ واختيار متون أخرى ضعيفة لأنها تتناسب مع توجهاتهم وطروحاتهم، وأدى هذا التوجه إلى تعطيل كم كبير من السنة، للتماهي مع الغرب في كثير من آرائه وأفكاره على حساب الشريعة.

أفكار طه جابر العلواني:

لست هنا بصدد بيان أفكار طه جابر العلواني الخطرة التي تناولها في عدد من مؤلفاته نحو السنة والقرآن، لكني أنبه إلى ظاهرة: أن أكثر الذين حاولوا الطعن والتقليل من شأن السنة والطعن في الأحاديث لا منهجية عندهم، بل يؤمنون بمجموعة أهواء لأشخاص لهم صلة بالتشيع، منهم محمود أبو رية (١٨٨٩- ١٩٧٠) في بداية القرن في كتابه «أضواء على السنة المحمدية»، و«شيخ المضيرة أبو هريرة»[(١)] ، والذي تبنى فيه أفكار الرافضة والمستشرقين تجاه أبي هريرة، ومن المعاصرين د. محمد حوى الذي شكك بروايات في الصحيحين ومدح التشيّع وحاول التقرب لبشار الأسد – قبل الثورة السورية- ، ونسيبه عداب الحمش في طعنه بالسنة والصحابة وتقربه من الإباضية والشيعة، ويبدو أنها حالة مضطردة أن من يقترب من الشيعة يطعن بالسنة والعكس.

حادثة توسط العلواني لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية:

في سنة ١٩٨٢ طرح العلواني مشروعا للوساطة بين العراق وإيران، يقوم على أن يرسل الشيخ ابن باز رسالة للخميني ورسالة لصدام حسين غايتها إيقاف الحرب باسم رابطة العالم الإسلامي، ويذكر العلواني أنه حاول أن يجعل الرسالة الموجهة للخميني رسالة تليق بمكانة عالم لم يكن يقل في نظره عن العز بن عبد السلام أو شيخ الإسلام ابن تيمية!! أما رسالته إلى صدام فكانت رسالة من

(١) وقد كانت خاتمته شنيعة، أذ أصبح سكيرا زانيا، إلى أن أصبح قريبا من الزندقة، نسأل الله السلامة.

عـالم إلى جبـار طاغيـة مـستكبر[1]. وأتـرك التعليـق للقارئ عن طريقة تناول الأمور في نظر العلواني!

طه العلواني بعد احتلال العراق:

أصـبح العلــواني ينــشر آراءه وأفكــاره الجديـدة علــى موقعــه، وصــفحته الشخــصية علــى موقــع فيـسبوك، وبمطالعتهـا وجـدنا العلـواني يمـدح حـزب الـدعوة الـشيعي، ويمـدح التـشيع الحقيقـي ويـذم التشيع الصفوي.

ولعلـي أحسن الظـن فيـه وأقـول إن أحـداث العـراق الطائفيـة الـشيعية اليـوم حركـت بعـضا مـن عراقيتـه فغيّـرت كـثيرا مـن مفاهيمـه القديمـة الخياليـة عـن التـشيع، فمـؤخرا كتـب عـدة كتبـات يـذم فيهـا الحــشد الــشعبي الــشيعي، ومــا فعلــه في ديــالى وتكريـت، ويـذم الحكومـة العراقيـة وطائفيتهـا، ولكنـه يحـنّ إلى مـشروع التقريـب فيكتـب تغريـدات وكتابــات في مــدح حــزب الــدعوة، والمرجعيــة الرشـيدة[2]، ومـن يـتمعّن في أفكـار هـذا الرجـل يـشعر أن آراءه لا تجـري بنـسق منطقـي، بـل نحـن أمـام رجـل يمثـل فكـره إشــكالية تحتــاج إلى دراســة أعمــق؛ ولعلـي في هـذا المقـال سـلطت الـضوء علـى بعـض المحطات في حياته.

عاصفة الحزم... المحور الإيراني في مصر يكسر الصمت

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

في الوقت الـذي شـنت فيـه طـائرات التحـالف العربـي بقيــادة المملكــة العربيــة الــسعودية وانطلاقـا مـن أراضـيها غاراتهـا الجويـة علـى الـيمن مـستهدفة أمـاكن تمركـز قـوات المتمـردين الحـوثيين في الوقت الـذي هبـت فيـه أيضا عاصـفة سياسـية قويـة علـى مـصر، الـتي لم تبارحهـا العواصـف الـسياسية منـذ ينـاير ٢٠١١ وكانـت سـببا في أن تـشهد الـبلاد حالـة اسـتقطاب حـادة وغـير مـسبوقة في تـاريخ الـبلاد الحـديث وصـلت للدرجـة الـتي لم يعـد يتحـرج فيهـا طـرف مـن أن يـدعو إلى أو يعمـل علـى إقـصاء الطـرف الآخر ولو بالقوة وإراقة الدماء.

غـير أن أهــم مــا ميــز انعكاســات عاصـفة الحــزم علــى المــشهد الــسياسي المــصري هــو أنهـا أحــدثت حراكــا جديــدا في الاســتقطاب، فكانــت تقـسيما جديـدا داخـل كـلا المعـسكرين التقليـديين والمتنــاطحين منــذ أحــداث ٣٠ يونيــو ٢٠١٣ لتتجــاوز الخلافــات بــين الأصــدقاء فــضلا عــن الفرقــاء المــصريين حــدود الــداخل الــسياسي المــصري إلى مواقـف أخرى كـشفت وبمـا لا يـدع مجـالا للـشك عـن مدى توغـل ونفـوذ بعـض القـوى الإقليميـة داخـل الحيـاة السياسية المصرية.

مسافة السكة

وفقـا لمـا كـان قـد صـرح بـه مـن قبـل المـشير عبـد الفتـاح السيـسي الـذي تـولى مقاليـد الحكـم في مـصر منـذ الإطاحـة بالـدكتور محمـد مرسـي حـول اسـتعداد مـصر لتقـديم يـد العـون والمـساعدات لكـل الأصـدقاء مــن بلــدان الخلــيج وأن الاســتجابة لتلبيــة ذلــك لــن تـستغرق إلا «مـسافة الـسكة» فقـد كـان مـن المتوقـع أن يحظــى الإعــلان عــن مــشاركة مــصر في عاصـفة الحـزم بتأييـد كـل المناصـرين للمـشير السيـسي بـلا أي تـردد وهـو مـا لم يحـدث حيـث خرجـت أصـوات كـثيرة مـن المقـربين مـن هـذا المعـسكر أعربـت عـن امتعاضـها واسـتيائها بـل ورفـضها لتلـك العمليـة العـسكرية مـن الأسـاس فـضلا عـن مـشاركة مـصر، الأمــر الــذي توافـق مـع بعـض مـن أنـصار المعـسكر المقابل، الـذين لم يـترددوا أيـضا في الإعـلان عـن رفـض هذه العملية.

ومـع مـا يمكـن أن يلـتمس مـن مـبررات سياسـية

---

(١) كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز»، عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، دار الهجرة، ص٢٩٠.

(٢) وهل حكم العراق بعد الاحتلال إلا قيادات حزب الدعوة : الجعفري – المالكي – العبادي؟!

(*) كاتب مصري.

لوجود بعض القوى داخل المعسكر المعارض للسيسي تتبني موقف الرفض لعاصفة الحزم انطلاقا من مبدأ تخطئة الخصم في كل سلوكه إلا أنه من الصعب تفسير الموقف الرافض للعملية العسكرية داخل معسكر السيسي خاصة وأن الطرف الذي يدعو ويقود العملية العسكرية هو المملكة العربية السعودية التي يدرك الجميع حجم ما قدمته ولا زالت تقدمه من دعم مالي وسياسي للنظام السياسي في مصر ما ساهم في إحداث حالة من الارتباك السياسي تضاف إلى ما تشهده الساحة من ارتباكات بدت معها الأمور متداخلة ومتشابكة إلى حد بعيد.

وكان أهم تجليات هذا التداخل هو سؤال كبير فرض نفسه على الأذهان حول الدافع الحقيقي لهذا الموقف الرافض للعملية العسكرية وهل جاء هذا الموقف من قبيل توزيع الأدوار داخل المعسكر الداعم للمشير السيسي الذي يبدو أنه حاول أن يثبت بالبرهان مدى قدرته على أن يكشر عن أنيابه حتى مع حلفائه وذلك في إطار رد الفعل على ما قيل إنه خلاف مصري سعودي تكشفت بعض مظاهره وملامحه في تلك الجلسة الختامية للقمة العربية التي شهدت نقاشا حادا بين المشير السيسي ووزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل حيث أعرب الأخير عن امتعاضه واستيائه من إعلان المشير السيسي عن تلقيه لرسالة من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وهو الموقف الذي اعتبره الكثيرة إحراجا للمشير السيسي ذلك أن الفيصل تعجب من إرسال بوتين برسالة للقمة العربية فيما هو أحد أسباب بقاء الأزمة السورية على وضعها الراهن بدعمه المتواصل للرئيس بشار الأسد أم أن ذلك الرفض للعملية العسكرية في اليمن يعكس إلى أي مدى استطاعت الدولة الإيرانية أن تشكل فريقيا سياسيا وإعلاميا داخل النخبة المصرية بمقدوره أن يدافع عن مصالحها وأهدافها ووجهة نظرها؟

ولعل الموضوعية تقتضي القول بأن جناح الرفض يضم بعضا من هؤلاء الذين رغبوا في المبالغة في دعم وتأييد السيسي حيث استشعروا أن السياسية السعودية تجاه مصر تغيرت بالفعل بعد وفاة الملك عبد الله وتولي الملك سلمان مقاليد الحكم وأن هذا الخلاف وصل إلى حد أن الرئيس المصري لم يتم إبلاغه بموعد العملية وفق ما نشرت بعض وسائل الإعلام بل وأن المملكة تقدمت بطلب لباكستان للاستعانة بقواتها في حال قررت إدخال قوات برية إلى اليمن ما اعتبره بعض المراقبين رسالة سعودية مفادها أن المملكة قادرة على أن تستبدل بالقوات المصرية غيرها.

وجاء البيان الذي أصدرته الرئاسة المصرية الخاص بالموقف المصري حول العملية مشيرا للكثير من اللغط والذي قالت فيه «إنه استجابة للنداء الذي أطلقته الجمهورية اليمنية الشقيقة كان حتمياً على مصر تحمل مسؤوليتها وأن تلبي نداء الشعب اليمني من أجل عودة استقراره والحفاظ على هويته العربية وذلك من خلال مشاركة عناصر من القوات المسلحة المصرية من القوات البحرية والجوية بعد استيفاء الإجراءات الدستورية لاستعادة الاستقرار والشرعية فى اليمن». إذ وكما هو واضح من نص عباراته لم يوضح هل مشاركة مصر في العملية العسكرية حصلت منذ انطلاقها أم لا وهو ما ألمح إلى أن هناك غموضا في الموقف فيما يخص العلاقات بين قيادتي البلدين رغم صدور العديد من التصريحات الدبلوماسية التي تنفي صحة ذلك كان أبرزها ما تحدث به السفير السعودي في القاهرة أحمد القطان حيث أكد متانة العلاقات السعودية المصرية رافضا في الوقت نفسه ما يصدر عن بعض الإعلاميين حول ما يتعلق بشأن هذه العلاقات.

لكن الموضوعية توجب علينا أيضا أن نستكمل ملامح الصورة التي تفصح عن الكثير من التفاصيل التي يشكل الإمعان فيها تفسيرا أكثر دقة ومنطقية لموقف الرافضين حيث كان من أهم هذه الملامح هو ما أعرب عنه قادة الحوثيين فور شن غارات عاصفة الحزم والمتمثل في عتابهم للمشير

السيسي حيث وجه عبد الملك الحوثي زعيم الجماعة المتمردة رسالة إلى السيسي قائلا: «لا تكرروا التجربة الخاطئة التي وقعت في الماضي من جانب مصر في اليمن، والشعب المصري يحب اليمن» .. في حين جاءت كلمات رسالة السيسي للحوثيين خلال لقائه بضباط القوات المسلحة والشرطة المصريين وكأنها صادرة بالفعل من صديق لصديق حيث قال لهم: «خذوا القرار وتراجعوا من أجل بلدكم».

هذا ولم يعد خافيا على الجميع حدوث تقارب شديد في وجهتي النظر المصرية – الإيرانية بشأن العديد من الملفات وعلى رأسها الملف السوري والموقف من نظام بشار الأسد، فقد انحازت القاهرة إلى مسألة التعاطي مع الأزمة بالحوار السياسي وليس بالقتال ما شكل نقطة اتفاق مع طهران وخلاف مع بلدان الخليج.

ويعود تطور العلاقات المصرية – الإيرانية على هذا النحو منذ اللحظة الأولى لتولي السيسي سدة الحكم في البلاد حيث تفاجأ الجميع بأنه تم توجيه الدعوة للرئيس الإيراني روحاني لحضور حفل تنصيب السيسي، والذي أوكل بدوره القائم بالأعمال الإيرانية في القاهرة حضور الحفل نيابة عنه فيما استشعر الجميع حدوث تغير ملحوظ في لغة الخطاب الإعلامي المصري «حكومي – وخاص» فيما يتعلق بإيران وحزب الله حتى أن الكثير من الإعلاميين كانوا يستندون في تحليلاتهم للمشهد السياسي لكلمات زعيم حزب الله حسن نصر الله واصفين إياه بالسيد بعد أن كان يتم اتهامه قبل شهور سابقة بالإرهاب.

المحور الإيراني

وتأتي المسألة الأبرز والأهم حول هذه القضية وهي أن الكثيرين ممن قادوا معارضة عاصفة الحزم أو على الأقل لم يبدوا تحمسا لها هم من المعروفين بعلاقاتهم بإيران ومن ثم فليس أقل من أن ينسحب الذهن إلى الاعتقاد بأن هذا الموقف المعارض للعاصفة ليس إلا دعما للموقف الإيراني الرافض لها وأنه ليس بمقدور هؤلاء أن يتخذوا موقفا مخالفا.

وهنا يجدر بنا أن نرصد مواقف البعض من هؤلاء:

١- الكاتب محمد حسنين هيكل

في عهد المشير السيسي لم يعد حسنين هيكل ذلك الكاتب السياسي البارز الذي تم تهميشه زمن الرئيس المخلوع حسني مبارك حيث تم إعادة هيكل للصدارة من جديد حتى تردد أنه هو من خطط لكل الأحداث التي أعقبت الـ ٣٠ من يونيو ٢٠١٣ ولهذا فإن مواقفه تؤخذ بعين الاعتبار وينظر لها على أنها ذات مغزى ودلالة.

وفيما يخص عاصفة الحزم فإن هيكل لم يتردد في أن يعرب عن رفضه لهذه العملية معتبرا أن قرار السعودية قيادة العملية يرجع لأمور تتعلق بانتقال السلطة في السعودية للملك سلمان والجيل الشاب الجديد وليس بالوضع في اليمن.

وقال هيكل في أحد اللقاءات التلفزيونية إنه كان لزاما على السياسة المصرية أن تتخذ بعض المواقع القريبة من الصراع في اليمن دون التورط فيه وأن تكون موجودة في الساحة، مضيفا: «نحن لسنا أمام دولة تُحارب في اليمن بل أمام مجتمع يتفكك من الداخل. والحل ربما يكمن في إحاطتها بحزام واقٍ وتركها تتفاعل من الداخل والتفكير في كيفية التقدم عبر استغلال ثغرات أو فرص وعاصفة الحزم ليست هي ذلك الحزام الواقي، فهذا الاسم الرمزي للعملية فيه تناقض لأننا نجد من جهة عاصفة وإعصارا لا يلوي على شيء، ومن جهة أخرى حزماً يحتاج للتأني».

وفي محاولة لتبرير موقفه وأن العملية تجاوزت القمة العربية قال هيكل: «إن أي متابع أو مراقب لقمة شرم الشيخ العربية والتي سبقتها عاصفة الحزم يعلم أن هذه القمة تواجه مأزقا لأن الفعل والقرار سبق الاجتماع والحوار فوجود أطراف تفعل أولا قبل أن تتحاور يعكس وجود أزمة اختلاف رؤى وخطاب وأزمة ثقة».. وهو أمر غريب إذ أن أغلب

أعضاء القمة أعلنوا دعمهم وموافقتهم على العملية.

وتابع قائلا: «إنّ خطاب الملك سلمان في القمة والذي تحدث فيه عن عاصفة الحزم ذكّرني بعبارة شهيرة للسياسي القبطي المصري مكرم عبيد الذي قال: «انقضوا أو انفضوا» حيث أن الملك سلمان قال هذا هو قرارنا وبعد الاجتماع خرج من القمة وهي لا تزال مستمرة في أشغالها».

والموقف الذي اتخذه هيكل يتسق مع علاقة الرجل بالدولة الإيرانية والتي كشف عنها الإعلامي أحمد المسلماني، مستشار الرئيس المصري السابق عدلي منصور، الذي أشار إلى أن سبب موقف هيكل الرافض للعملية، لعمله السابق كمستشار إعلامي للخميني، مضيفا أن هيكل كان قد اختلف مع الرئيس الراحل محمد أنور السادات لتأييده للخميني وعمله مستشارا إعلاميا له لافتًا لدور هيكل في تشويه صورة شاه إيران في الثقافة العربية والترويج للخميني والثورة الإسلامية في المنطقة.

بل إن هيكل نفسه كشف عن علاقته بإيران حيث قال في لقاء تلفزيوني إن إيران بالنسبة له تعد جزءًا من شبابه، مضيفا: «أعتقد أننا نرتكب خطأ يكاد يكون خطيئة تاريخية وهي الفتنة بين السنة والشيعة».

٢- إبراهيم عيسى

لو صدقت التسريبات التي كانت قد بثتها القنوات المحسوبة على الإخوان المسلمين والتي تتخذ من تركيا مقرا لها فإن الكاتب المصري إبراهيم عيسى يعد أحد الأذرع الإعلامية للقوات المسلحة ومن ثم فإن مواقفه أيضا يفترض أنها تحمل دلالات خاصة فضلا عن أنه بات معلوما عنه أنه يميل في الكثير من أفكاره المتعلقة بالصحابة – رضوان الله عليهم - والسنة النبوية الشريفة إلى المذهب الشيعي وهي المواقف التي كانت سببا في أن تعرض عيسى للكثير من الحملات الهجومية على مدار السنوات الأخيرة.

ولقد أعلن عيسى بوضوح عن انتقاده الشديد لعاصفة الحزم بل إنه وفي أحد مقالاته أكد أنه كان لزاما على السيسي أخذ موافقة الشعب المصري قبل المضي قدما في قراره بالانضمام إلى دول الخليج في عمليتها العسكرية.

وكتب عيسى مقالا بعنوان: «خذ رأي شعبك في تدخلك العسكري في اليمن يا سيادة الرئيس» بجريدة «المقال» التي يرأس تحريرها.

وقال عيسى: «في غياب مجلس النواب طبقا للمادة ١٥٢ في الدستور فإن القرار في يد الرئيس وحده لكن هذا لا يمكن أن يمنع، ولعله يوجب أكثر أن يستمع الرئيس إلى رأي شعبه ممثلا في أحزابه وتياراته وقواه السياسية ونقاباته ومؤسساته في مثل هذا القرار وأن يضع في حسبانه تماما مجموع اتفاقهم أو اختلافهم في هذا الصدد».

وحاول عيسى خلال مقاله أن يعقد مقارنة بين موقف بلدان الخليج مما يحدث في اليمن ومما يحدث في سوريا التي اعتبر أن ثورتها تعد أيضا تمردا على الرئيس الشرعي.

٣- أحمد عز الدين

ربما لا يحظى الكاتب أحمد عز الدين بشهرة إعلامية واسعة لكنه معروف بين الكتاب والصحفيين وبشكل خاص الناصريين والقوميين منهم، وتربطه علاقة جيدة برفعت الأسد، عمّ الرئيس السوري بشار الأسد إذ ووفق ما أذكر التقيته مرة في مكتب إعلامي يديره حيث كان يعمل به أحد أصدقائي الصحفيين وقد رأيت بأم عيني الكثير من الإصدارات ومن بينها كتاب يضم مقالات رفعت الأسد وقد حصلت على نسخة منه.

عز الدين وفي لقاء تلفزيوني ببرنامج «من القاهرة» على فضائية «القاهرة والناس» الذي تقدمه الإعلامية أماني الخياط فاجأ المشاهدين بالتأكيد على أن قرار الضربة الجوية لليمن غير سعودي وتم اتخاذه في دولة غير عربية مضيفا أن قرار العملية تمت صياغته في الولايات المتحدة الأمريكية ومؤكداً على أن الموقف الرسمي المصري كان

رافضاً لأي تدخل عسكري في اليمن.

وأكد عز الدين الذي تصفه الإعلامية الخياط بالخبير الإستراتيجي أن مصر على دراية بطبيعة اليمن وما يحدث فيها، مشيراً إلى أن دخول مصر في تحالف «عاصفة الحزم» جاء من أجل إيقاف العملية في الوقت المناسب لعدم انخراط المنطقة في صراع سني شيعي وتدمير الجيش اليمني عن آخره كما حدث في العراق.

وأشار إلى أن استباق الضربة الجوية لـ «عاصفة الحزم» للقمة العربية كان مثيرا للدهشة موضحاً أن تركيا أمرت رعاياها بمغادرة اليمن قبل ٤٨ ساعة من القيام بالعملية العسكرية ومؤكداً أن العملية جاءت لتنفيذ مخطط غربي أمريكي لتدمير المنطقة بأيد عربية.

٤- البديل الثوري

ومن بين الكيانات التي أعلنت رفضها للعملية العسكرية كيان أطلق على نفسه «البديل الثوري» والذي قام عدد لا يتجاوز أصابع اليد من عناصره بتنظيم وقفة أمام نقابة الصحفيين بوسط القاهرة احتجاجًا على ما وصفوه بـ «العدوان العربي على اليمن».

ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها «اللي يضرب في صنعاء بكرة يضرب في الوراق» و«سد النهضة يعني فناء وأنت بتضرب في صنعاء»، و«لا للعدوان على اليمن» كما وزعوا منشورات على المارة يدينون فيها «العدوان على اليمن».

كما قال جمال عبدالفتاح المتحدث باسم الحركة إن «السيسي ودول الخليج هم آلة لتنفيذ المخطط الأمريكي لتحويل الثورات العربية إلى صراعات وضياع ربيع الثوارت العربية».

وأضاف عبدالفتاح في ندوة بمقر الحركة الكائن بشارع السد البراني بالسيدة زينب أن الحركة ضد أي حرب أو تدخل من أي دولة على الشعب اليمني وأن الشعب اليمني شعب شقيق ولن نسمح لعاصفة الخراب أن توقع بين الشعوب مشيرا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي الأساسي لعاصفة الحزم بمعاونة دول الخليج ونظام السيسي.

٥- الدكتور مصطفى اللباد

وهو كاتب متخصص في الشؤون التركية والإيرانية يعمل بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية حيث اعتبر أن السعودية تهدف من خلال «عاصفة الحزم» إلى تحقيق أهداف أخرى تؤدي إلى «تهميش» مصر والانفراد بزعامة المنطقة.

وكشف اللباد في مقال بصحيفة «السفير» اللبنانية أن الرياض تريد من الحرب على الحوثيين تحقيق هدفين يتخطيان حدود اليمن: أولاً تعديل الموازين الإقليمية مع إيران، وثانياً إعادة تشكيل المشهد العربي بقيادة سعودية منفردة، مع تهميش أدوار الدول العربية الكبرى بما فيها مصر.

هؤلاء ليسوا إلا مجرد نماذج استطردنا في رصد مواقفهم بشيء من التفصيل غير أن القائمة الخاصة برافضي عاصفة الحزم تمتد وتطول كما أنها لا تنحصر في المنتمين للمعسكر الداعم للسيسي بل وتشمل أيضا آخرين من المعسكر المعارض له ومن بينهم مثلا الكاتب الصحفي الإسلامي فهمي هويدي وحزب الاستقلال – العمل سابقا – غير أن تركيزنا كان على أنصار معسكر السيسي إذ ربما يكشف هذا عن مدى تغول إيران في بلدان المنطقة.

موقع الشيعة العرب من المشروع الطائفي... حقائق عامة

سعيد السويدي(*) – خاص بالراصد

لعل من أهم أسباب الخلل والضعف في الجبهة السنية المقاومة لإيران، وجود أفكار وافتراضات تحول دون رؤية الخطر الإيراني على حقيقته، وكثرة الشبهات والاعتراضات المعيقة لتكوين نظرة سنية مبنية على ثوابت دينية وحقائق تاريخية ومعطيات واقعية.

ومن بين الشبهات المثارة: عزل الشيعة العرب عن المشروع الطائفي لإيران، وتبرئتهم من سياسة «التشيع الفارسي الدخيل»، وهذا التقسيم المفترض بين أبناء المذهب الواحد، تعترضه عدة حقائق ليس من السهل دحضها أو الالتفاف عليها وتأويلها، نذكر بعضها:

أولاً: وحدة الأصول العقائدية للشيعة العرب وغيرهم

إن الأصول العقائدية للشيعة العرب هي ذات الأصول التي يتبعها الشيعة غير العرب، وهي مصدر الخلاف ومادته الأساسية مع جمهور المسلمين، فالعقائد الشيعية المعادية للإسلام السني وحضارته وتراثه قاسم مشترك بين الشيعة العرب وغير العرب، بل عقائد التشيع المنحرفة أسسها العرب ونشروها لغير العرب، وإن كان الشيعة العرب لديهم خلافات جوهرية مع الشيعة العجم في فهم التشيع فعليهم توضيح ذلك بشكل بيّن، وإعادة النظر في تراثهم وتدوين مذهبهم وفقاً لقواعد معتدلة، واعتماد المناهج الجديدة في معاهد التدريس والحوزات الدينية بشكل علني.

أما مجرد الكلام عن براءة التشيع العربي من الطائفية والمشروع الفارسي، فهو أمر لا يغير من الحقائق شيئاً.

فالشيعة الطائفيون - عرباً وعجماً- ينطلقون من نفس العقائد والنصوص، ولديهم أئمة ومراجع مشتركون، ولديهم تجارب تاريخية يعتمدون عليهم ويستندون إليها، في المقابل فإن الشيعة العرب لا يملكون أي مستند شرعي أو تاريخي يؤيد دعاويهم الإصلاحية وبراءتهم من الغلو الشيعي الدخيل، وبذلك لا يمكن اعتبار تصريحاتهم هذه ممثلة للتشيع، بل هي مجرد تصريحات ومبادرات شخصية ورغبات ذاتية «وتشيع جديد» لا يمت للتشيع القديم والحالي بأي صلة.

ثانياً: العبرة بالكثرة المؤثرة

الشخصيات الشيعية العربية التي تهاجم إيران لا تملك أي رصيد شعبي حقيقي بين الشيعة، أو جماهيرية بين أبناء مذهبهم، ومهما قيل عن الأغلبية الصامتة فإنها تبقى أقوالا مجردة وافتراضات محضة ليس لها أي شاهد في أرض الواقع، فلو أراد السنة مثلاً إقامة تحالف سياسي عسكري مع الشيعة العرب لمواجهة إيران فلن يجدوا أحداً، ولن يعثروا على هذا النموذج الذي يفترضونه (الشيعة العرب المناوئين لإيران).

بل إن الأغلبية الشيعية تنطق وتعلن يومياً عن دعمها المطلق لإيران من خلال النشاط المليشياوي والطاعة العمياء للمراجع الدينية الإيرانية.

والاقتصار على الكلام دون وجود أي مقاومة شيعية لإيران يعد ضحكا على الذقون أو تخديرا لأهل السنة وخداعهم، وإنقاذا لسمعة المذهب.

فمنذ احتلال العراق وسطوع نجم الشيعة لم نجد أي أثر لمقاومة عربية شيعية ضد إيران، رغم أننا سمعنا عشرات المرات عن قرب اندلاع الانتفاضة العربية لعشائر الجنوب ضد النفوذ الإيراني، بل إن الجنوب العراقي العربي أصبح مصدرا أساسياً لتغذية المليشيات الشيعية بالقوة البشرية لقتال السنة في سوريا والعراق.

(*) كاتب عراقي.

ثالثا: من يدّعي أنه من الشيعة العرب سِجله أسود كالشيعة الإيرانيين

إن من يدعون أنهم يمثلون التشيع العربي في العراق، سجلهم أسود وطائفي كالشيعة الإيرانيين، فيلق بدر من ينسى جرائمه الطائفية عقب الاحتلال أو مشاركته لإيران في حرب بلده العراق منذ نشأته، وجيش المهدي التابع لمقتدى كيف يمكن له أن يتطهر من ألوف الدماء البريئة التي في رقبته من سنة بغداد وغيرهم، والصرخي أليست له ميلشيات تشارك في الحشد الشيعي ضد السنة!!

رابعاً: التواصل بين رموز الشيعة العرب، والشيعة غير العرب

على خلاف الافتراضات التي افتعلها القوميون عن الشيعة العرب واختلافهم عن الشيعة العجم، فإن علماء الشيعة العرب ورموزهم لم ينقطع تواصلهم مع ساسة الشيعة من غير العرب.

فالشريف الرضي والشريف المرتضى كانوا على صلة وثيقة بالبلاط البويهي الديلمي، وعلماء جبل عامل بجنوب لبنان هاجروا إلى إيران لما قام فيها حكم الصفويين[1] بل هم الذين وطدوا أركان التشيع، وغالب علماء الشيعة العرب - إن لم يكن جميعهم في زماننا - على تواصل مع القيادة الإيرانية الدينية، بل إن محمد حسين فضل الله، المرجع اللبناني المستقل نوعا ما، كان يحتفظ بأوثق الصلات مع النظام السوري العلوي حليف إيران، ولم نشهد أي تنافر أو خلاف حقيقي بين المراجع العربية والمراجع الإيرانية، أو بين المراجع العربية والقيادات السياسية غير العربية، والتعلق ببعض النماذج النادرة لا يعبر عن حالة عامة بقدر ما هو استثناء نشأ نتيجة ظروف وملابسات شخصية في الأغلب ولا علاقة لها بالتشيع العربي وغير العربي.

خامسا: المليشيات الشيعية العربية أدوات للمشروع الايراني

لم تتمدد إيران في البلاد إلا باعتمادها على الشيعة العرب، وهذا ظاهر وليس محلاً للجدل، فالمليشيات الشيعية المنتشرة في دول المنطقة كلها عربية، فالحوثيون عرب، واللبنانيون من أتباع حسن نصر الله كذلك، وشيعة العراق عرب، والعلويون والدروز في الشام من عشائر عربية استوطنت سوريا قبل الإسلام، وهذه الميلشيات الطائفية الهائلة تنسف ما يشاع عن أغلبية شيعية صامتة ترفض سياسة إيران.

وهذا أيضاً يلزمنا **بتقسيم جديد للشيعة العرب:**

شيعة عرب يدعمون إيران، وشيعة عرب لا يدعمون لإيران!

وهذا بحد ذاته يَرد فكرة التفريق بين سلوك الشيعي العربي، وسلوك الشيعي غير العربي، لأنه مع وجود عرب موالين لإيران فإن الفئة المتبقية من الشيعة العرب تغدو ممثلة لنفسها وليس لدينها أو قوميتها.

سادساً: تعارض فكرة «الشيعة العرب» مع فكرة «علي شريعتي»

علي شريعتي المفكر الإيراني ذو الأصول الفارسية صاحب نظرية التمييز بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي، حيث اعتمد في التمييز بين نوعين من التشيع إلى تقسيمه إلى ما قبل العصر الصفوي (القرن العاشر الهجري) وما بعد ذلك.

وما طرحه شريعتي من أفكار نظرية مجردة يتصادم إلى حد ما مع ما يروج له من وجود تشيع عربي غير مرتبط بمشاريع إيران. **فالفصل بين نوعي التشيع عند شريعتي قائم على أساس حقبة زمنية ولدت فيها مفاهيم منحرفة، والفصل بين نوعي التشيع عند غيره قائم على أساس قومي.**

وهو يشبه محاولة تقسيم أتباع داعش والقاعدة بحسب قومياتهم العربية أو الأفغانية أو الأوروبية!!

---

(١) لمزيد من التوسع عن هذه الهجرة، انظر كتاب (الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي: أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية) جعفر المهاجر، دار الروضة - بيروت (١٩٨٩).

وقد يدافع البعض بأن المقصود هو صراع مفاهيم بين تشيع أصيل، وآخر دخيل، وهذا أمر محتمل لكنه أيضاً يجرد المسألة من بعدها القومي لتعود مناقشة دينية فكرية بحتة، لأنك ستجد الاعتدال والتطرف في التشيع لدى العرب والعجم، العلة إذاً ليست في الشيعة الفرس أو الاذريين أو المازندرانيين، أو الهنود أو التركمان، وإنما في التشيع المنحرف نفسه، وعليه فقد يكون الشيعي العربي أسوأ من الشيعي الفارسي لأن العرق والجنس لا دخل له في تبني التشيع المنحرف.

سابعاً: التشيع الفارسي الصفوي ديانة فعلية للشيعة العرب

من أبرز ما ينتقده الشيعة من معارضي التشيع «الصفوي الإيراني» هو الغلو في الأئمة وتقديس البشر، واعتبار ذلك من المستحدثات التي لا تعبر عن رسالة التشيع وقيمه، إلا أن هذا الغلو الذي يظهر في مواسم الزيارة والحج للمراقد، والطقوس المرافقة لها هو التعبير الفعلي لالتزام الشيعة العرب بمذهبهم، بل إن الشيعي لا يُعرف بالتزامه بمذهبه وولائه له إلا من خلال هذه الطقوس والزيارات والأعمال التي تُصنف على أنها مستحدثات صفوية ونزعات فارسية.

إن الشيعي العامي يتعامل مع الإمام والمرقد بالطريقة الصفوية المليئة بالغلو والتقديس التعبدي، وليس كما يتمنى بعض عقلاء الشيعة ممن لا جمهور لهم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يقل أهمية في بيان استقرار غلو الديانة الصفوية بين غالبية الشيعة وعدم اكتراثهم بأفكار التشيع العلوي أو العربي المعتدل، هو انتشار وترسخ اللعن والسب للصحابة بين الشيعة العرب، فهذه العقيدة هي التي تحدد هوية التشيع وتميزه عن غيره، وبدونها لا يمكن للتشيع أن يبقى مذهباً مستقلاً بعقائده ومواقفه السياسية وسلوكه الاجتماعي.

إنّ اعتبار التشيع مجرد محبة وولاء لآل البيت دون اتخاذ موقف عدائي حاد من الصحابة هو حديث عن تشيع لا وجود له فعلياً، لأن نزعة الميل لعلي بن أبي طالب ومحبته وتفضيله على عثمان بن عفان كانت موجودة في أوساط السنة، ولم تستقل بتكوين مذهب وفقه وفكر جديد.

بل وحتى التشيع الذي يفضل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر دون لعنهما واعتقاد كفرهما (وهو مذهب أكثرية الزيدية) هو مذهب منبوذ، ولا يتبعه إلا فئة قليلة من الأقلية الشيعية الموجودة في العالم الإسلامي، ولا يملكون أي تأثير سياسي ولا أحد يسمع صوتهم أو يلتفت إليهم، لأن أكثرية الشيعة يعتبرون تشيع الزيدية تشيعاً مزيفاً لا روح له.

والخلاصة أن التشيع لا يتميز عن غيره من المذاهب المنتسبة للإسلام إلا بعقائده وأفكاره التي يعتبرها البعض صفوية فارسية دخيلة على التشيع.

حقيقة الشيعة العرب في العراق بمناسبة الذكرى ١٢ للاحتلال الأمريكي

سمير الصالحي(*) – خاص بالراصد

بعد مرور ١٢ سنة على الاحتلال الأمريكي والإيراني للعراق ووقوع العراق بيد الهيمنة الإيرانية، ثمة سؤال مهم لا بد من طرحه يتناسب مع الدعوات التي برزت قُبيل وبعد عاصفة الحزم حول تقصير الدول العربية مع العرب الشيعة، وأنه لابد من محاولة لاحتوائهم[1].

والحقيقة إن هذه فكرة قديمة تبنتها تيارات عروبية وقومية كان من ضمن تصوراتها وطروحاتها أن مشكلة التشيع لا تكمن في التشيع كعقيدة بل في التوجهات الفارسية.

لكننا كعراقيين ذاكرتنا التاريخية تحمل

(*) كاتب عراقي.

(١) هذه الدعوات أول من نادى بها شيعة عرب مثل العراقي رشيد خيون، والصحفي الشيعي السعودي توفيق السيف، والشيوعي العراقي صائب خليل الراوي وتبعهم على ذلك عدد من الصحفيين العرب.

عدة حوادث تخالف هذا التوجه، وتنقض هذا التصور، منها حادثة قديمة قبل أن تصبح إيران شيعية، فإسماعيل الصفوي عندما بدأ بتغيير مذهب إيران من السنة للتشيع واتجه بعدها إلى بغداد ليسيطر عليها ويغير عقيدتها للتشيع، قام نقيب الأشراف الشيعي محمد كمونة[1] ليقود لجام فرس إسماعيل الصفوي حين دخوله بغداد، وهو عربي هاشمي من آل البيت، يومها خطب ابن كمونة بأهل بغداد السنّة ليقنعهم بعدالة إسماعيل الصفوي، فلما دخل إسماعيل أمر بذبح أهل السنة بكل وحشية، ومن شدة موالاة ابن كمونة للشاه إسماعيل الصفوي أنه ذهب معه ليحارب العثمانيين في معركة جالديران (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وقُتل هناك.

وقبل ذلك يعرف الجميع قصة الوزير الشيعي ابن العلقمي عندما خان أمته وملكه في زمن المغول، ولم يكن هناك جمهورية إيران الشيعية، فسلّم ملكه وأمته للمغول انتقاما لطائفته الشيعية الإمامية؛ لذا فهو والطوسي أبطال في نصرة المذهب عند علماء المذهب.

فهذه الحوادث ومثلها كثير يمكن أن تجعل البعض يقول: إنكم تظلمون الإيرانيين فسلوك الصفويين الوحشي ولّدته فتاوى علماء جبل عامل مثل الكركي في لبنان، ومثل نعمة الله الجزائري[2] الموسوي، وبهاء الدين العاملي وغيرهم من علماء الشيعة العرب ممن أفتى لهم بهذه السلوكيات المتطرفة، وهؤلاء عرب أقحاح مثلما اليوم حسن نصر الله عربي أصيل، وكأن الإيرانيين يقولون: نحن نعيد لكم بضاعتكم المذهبية فلا تعيبوا علينا أيها القوميون!

أما بعد أن تحولت إيران لدولة شيعية وأصبح هناك طموح فارسي قومي مرتبط بالتشيع فلا بد لمثل هذه الطروحات التي تحاول أن تجعل الخطر قوميا فارسيا أحاديا، وأن التشيع العربي لا صلة له بهذا التوجه، أقول إن مثل هذا الطرح يحتاج لدراسات متعددة لتوضيح ملابساته وما يحتويه من صواب وخطأ. وفي هذا المقال أحاول تسليط الضوء على شيعة العراق كنموذج للشيعة العرب.

تشيع العشائر العراقية:

شيعة العراق في منطقة الجنوب وبعض الوسط عرب أقحاح من عشائر وقبائل عدنانية وقحطانية، ولا يمكن لأحد نكران ذلك، وتشيعهم ليس بالقديم إنما عمره ٢٠٠ سنة فقط. باستثناء مناطق كان التشيع فيها قديما كمنطقة الحِلة والنجف وكربلاء، وبعض مناطق ضواحي بغداد.

لكن ماذا تغير في العشائر العربية العراقية بعد تشيعها؟ لقد تحول ولاؤها لإيران وأصبحت بين الفترة والأخرى تُحدث مشاكل للحكومة المركزية في العراق، وإذا ما طوردت هربت إلى إيران (فارس)، ولقد لاحظ هذه الظاهرة أكثر من كاتب منهم العلامة الألوسي، والشاعر معروف الرصافي في «الرسالة العراقية»، وسبب ذلك أن العلماء والمراجع لا يبنون دين التشيع على عبادة معينة بشكل معين بل إن محور التشيع قائم على كراهة السنة، لكونهم أعداء أهل البيت (نواصب)، ومن ثم تولدت لديهم كراهة دولهم كالدولة العثمانية، ومحبة للدول الشيعية في أرض إيران (فارس) وغيرها.

وكانوا يسمعون ويطيعون لكل ما يأتي من فارس (إيران) سواء كان من العلماء أو الساسة، وعلماء الشيعة العرب في العراق ومراجعهم كلهم غير عرب من فرس أو هنود أو أذريين (أذربيجان) أو أفغان، وهذا ما لاحظه حنا بطاطو في كتابه عن شيعة العراق، وعلماء النجف ومراجعهم كلهم غير عرب، كما أن ولاءهم لحكام إيران.

---

(١) آل كمونة لا تزال عائلة شيعية مرموقة يفتخر بها الشيعة بنسبها لجد خائن لكنه عند عائلته مجاهد لخدمة المذهب والطائفة، وقد عمل عملا عظيما أن سهل دخول الصفويين إلى بغداد.

(٢) ليس نسبة إلى دولة الجزائر كما وقع خطأ، بل إلى منطقة قرب البصرة والبطائح (الأهوار) إلى جُزر من هناك.

ويمكنني كعراقي أن أجزم أن شيعة العراق تبعاً لشيعة إيران، وإن أنكروا ذلك ألف مرة، فأكثر من ١٤٥ سنة مرّت على شيعة بلادي وهم يؤذنون في حسينياتهم ومساجدهم حسبما أراد لهم حاكم إيران وشاهها في وقته، فعندما زار شاه إيران القاجاري ناصر الدين العراق سنة ١٨٧٠م وقت أن كان مدحت باشا حاكما على العراق، زار النجف ولم يسمع في الأذان الشيعي «أشهدُ أنّ علياً وليّ الله» كما هو في إيران عندها أمر بإعادة الأذان وذكر الشهادة الثالثة، ومنذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا يؤذن الشيعة حسب أوامر شاه إيران، بل أصبح من مقدسات الشيعة، التي يدافعون وينافحون عنها كأنها دين أنزل بنص غير قابل للتغيير[1].

وحتى المراسم الشيعية هي شيء دخيل على شيعة العراق العرب لكنهم تلقوه بترحاب وقبول؛ فالإيراني صالح بن مهدي القزويني هو من أدخل ركضة طويريج وتبعه عليها الشيعة العرب، والضرب بالزنجيل (السلاسل) أدخلها الشيعة الأذريون إلى كربلاء سنة ١٨٩٩م، وإلى النجف سنة ١٩١٩م.

ومن يراجع قضية اللطم والزناجيل والقامة والتشابيه يجدها عادات غير عربية ولا عراقية جاءت من شخصيات غير عربية، إما أذربيجانية أو إيرانية أو هندية، فأين شيعة العراق العرب، وهل حصل هذا بقناعة أم بالقوة؟!

بعد تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ ووقوف الشيعة العرب من قبائل الجنوب ضد الحكومات العراقية الوليدة، ونذكر موقفا مخزيا للمرجع العربي مهدي الخالصي (الجد)[2] عندما نفي إلى إيران سنة ١٩٢٧ فقد أمر شيعة العراق بدفع الخمس إلى الجيش الإيراني[3]. ومعلوم رفض عشائر الجنوب بتوجيه من الملالي في النجف التجنيد الإجباري للحكومة العراقية، ليبقى الجنوب هشا غير مسيطر عليه.

كما إنه معلوم أنه توالت مجموعة ثورات في الجنوب وانتفاضات من هذه العشائر منعت الاستقرار في العراق وهي في السنين الآتية: ١٩٢٤، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٣٥، ١٩٣٦ بتوجيه علني من المراجع الإيرانيين. وكما يقول علي الوردي: «بعد أن تحولت إيران إلى التشيع، أخذت تؤثر في المجتمع العراقي تأثيراً غير قليل. فقد بدأ التقارب بين الإيرانيين وشيعة العراق ينمو بمرور الأيام. وصارت قوافل الإيرانيين تتوارد تباعاً إلى العراق من أجل زيارة العتبات المقدسة (عند الشيعة) أو طلب العلم أو دفن الموتى وغير ذلك. وقد نشأ في العراق جراء ذلك وضع اجتماعي فريد في بابه هو أن الشيعة الذين يمثلون أكثرية السكان في العراق هم من العرب بينما أكثر علمائهم من الإيرانيين»[4]. فهل أرغمت العشائر العراقية على هذه التبعية أم هي اختارتها بمحض إرادتها؟!

قبيل احتلال العراق:

لقد خرج أعظم مرجع عربي هو محمد باقر الصدر بكل صراحة ليبارك ثورة خميني ويدعوه للمجيء إلى أرض العراق جهارا نهارا، ولم يراعِ وجود دولة عراقية، فقل لي بربك: أي وطنية لرجل دين يطالب باحتلال بلده، ثم يرفض أتباعه أن يعدوا ذلك خيانة عظمى، ويعتبرونه شهيدا، فهل ترضى دولة في العالم ذلك؟ وما بال عربي آخر ومن نفس العائلة وهو موسى الصدر يرسله الشاه الإيراني

(١) على الوردى «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (٢/٢٥٩)، علماً أنّ علماء الشيعة كانوا يبدّعون وأحيانا يلعنون من يفعل ذلك؛ لأن هذه العبارة من بدع فرقة المفوضة الشيعية؛ الذين يدّعون أنّ الله فوّض الخلق لعليّ، وعلى ساعد الله على خلق الكون، فمن أجل ذلك كفّرهم الشيعة، فهذه الطائفة المنحرفة هي من أوجد هذه الشهادة الثالثة. (نقلا عن مقال في الراصد: ولاء الشيعة لمن حقائق وأهام منثورة، عبد العزيز بن صالح المحمود، العدد ١٠٧، ١٤٣٣هـ.

(٢) هو وأولاده وأحفاده يحملون الجنسية الإيرانية، وكان يعمل ضد حكومة الملك فيصل الأول في العراق ويسعى لخلعه.

(٣) عن مقال جهود علماء العراق في الرد على الشيعة/ ٣، لعبد العزيز بن صالح المحمود، الراصد، العدد ٥٧، ١٤٢٩هـ.

(٤) لمحات اجتماعية، لعلي الوردي (١١/١).

ليعمل لحساب إيران (وهي علمانية غير متدينة).

فالشيعة العرب كلّهم مطيع لإيران وفي خدمتها زمن الشاه، ومن بعده خميني، ومن قبله صرح آية الله محسن الحكيم: «إن نظام الشاه هو المدافع الوحيد عن شيعة العالم وهو حصنهم الحصين والوحيد»[1].

بل إن الشاه الإيراني كان يستغل علماء الشيعة العراقيين لمصالِحه فقد بعث في السبعينيات وبالتحديد سنة ١٩٧٣ طالب الحسيني الرفاعي إلى مصر، فأنشأ جمعية باسم «آل البيت» وبدأ ينشر التشيّع بين فقراء المصريين عبر موظفي سفارة الشاه وصار المذهب الشيعي طريق الكثيرين من المصريين إلى العمل في الوظائف الحكومية في إيران، وفي المؤسسات الإيرانية في مصر، فتشيّع - لأسباب مصلحية مالية- عدد لا بأس به من المصريين خلال ست سنوات قضاها الرفاعي في مصر.

وقد تكشفت اليوم الحقائق أن حزب الدعوة الشيعي العراقي، أُسس بمباركة شاه إيران سنة ١٩٥٩م، وكان السفير الإيراني في دولة الشاه يدفع لهم بين الفينة والأخرى[2].

وممّن أحسن حزب البعث الظن به ودعمه كمرجع شيعي عربي محمد محمد صادق الصدر، والد مقتدى الصدر، الذي أوصى قبل وفاته أن تكون المرجعية لغير عراقيين عرب وهم: كاظم الحائري (إيراني) ومحمد إسحاق الفياض (أفغاني) وكأن العراق خلا من المراجع العرب!!

لقد مارس الشيعة العرب عمليات طائفية قبيل الاحتلال تمهيدا لما سيحصل بعده، فقد كان شيعة بغداد من مدينة الثورة (صدام) – مدينة الصدر حاليا- يمارسون دورا خبيثا طائفيا بإحصاء تام للعوائل السنية في منطقة الرصافة منذ سنة ١٩٩٨ لغاية ٢٠٠٣، وبدأت تنظيمات الصدريين وقوات بدر تعمل على تكوين ملفات معلومات طائفية، وتعاون أكثر من ٧٠٠ شيعي خارج العراق مع الجيش الأمريكي بمبلغ ١٠٠٠ دولار، وكل هؤلاء شيعة عرب من عشائر بني تميم، وخفاجة، وربيعية، وجبور، ولامية، وسودان، وعباد، وعبيد، وشمر طوكة، وغيرها من عشائر لا يشك أحد في عروبتها، والممارسات الطائفية قديمة عند هؤلاء وجميع قياداتهم المتنوعة موجودة في إيران وسوريا ودول أوربا.

شيعة حزب البعث:

الشيعة أصحاب التوجهات غير الدينية توجهوا كبقية العراقيين إلى عدة توجهات علمانية، مثل الشيوعية وحزب البعث والتوجهات القومية، وكان ينبغي لهؤلاء أن يكون تأثير التوجهات الدينية فيهم ضعيفا، من أمثال التبعية لمرجعية أو التقليد الأعمى أو الخرافات المتوافرة في الدين الشيعي، لكن الواقع العراقي يشهد بأمر مختلف، فكثير منهم يحمل أفكارا طائفية أكثر من المتدينين أحيانا، ومن أمثلة الشيعة العلمانيين: أحمد الجلبي وكنعان مكية مؤلف كتاب (جمهورية الخوف) وهؤلاء نموذجان[3] ساهما بتدمير العراق أثناء وجودهم في الغرب أكثر من التيار الشيعي المتدين، ومنهم مجموعة كتاب مثل فاضل الربيعي ورشيد خيون اللذين يدافعان بشكل ذكي عن الطائفة ويخدعان العرب السنة في الخارج في طروحاتهم.

وشخصيات البعث الشيعة تواجدت بكثرة في حكومة المالكي الأولى والثانية فكثير من أعضاء حزب البعث الشيعة اليوم من قادة الجيش والشرطة والأمن والمخابرات ومن رجالات الدولة من قضاة ومحامين وأكاديميين وأدباء وصحفيين موجودون في كيان الدولة وأسطورة اجتثاث البعث شملت

(١) انظر مقالنا في الراصد «حقائق خطيرة في الشأن العراقي: علاقة أمريكا وإيران بتنظيم القاعدة» العدد ١٢٤، ١٤٣٤هـ.

(٢) كتاب حزب الدعوة، لصلاح خرسان.

(٣) تناولت مجلة الراصد ذلك في مقال رائع (طائفية التيار العلماني الشيعي في العراق/ ١) العدد ١٠٦/ ١٤٣٣هـ.

السنة من البعثيين فقط إلا ما ندر.

وحزب البعث الشيعي يمارس كل الإجرام والميل إلى إيران ويقدر عدد الشيعة البعثيين من القياديين في الدولة الشيعية ٤٠ ألف عنصر، وقد مارس كثيرا من هؤلاء الطائفية والتقية وهم داخل حكم حزب البعث إبان فترة الحصار، حيث نفذ كثير من الشيعة في أجهزة الأمن عمليات تصفية جسدية لخصومهم بحجج كاذبة، وقد دوّن بعضها د. طه الدليمي في كتابه (البادئون بالعدوان).

وعندي أشياء كثيرة منها ما كان يكتب لصابر الدوري محافظ كربلاء لخمس سنوات من تقارير حزبية عن تحركات طائفية لبعثيين لصالح إيران ولا يرفعها للقيادة في بغداد، وحتى بعد الاحتلال لم تتحمل طائفية البعثيين الشيعة من إعلان تنظيمات الجنوب والفرات الأوسط في حزب البعث العراقي المنحل، فك ارتباطها بأعضاء قيادة قطر العراق في الداخل والخارج احتجاجا على تعيين قيادة أصلية للحزب من «السنة» واحتياطية من «الشيعة»، معتبرة ذلك من «مخلّفات الاحتلال وتكريسا للنهج الطائفي».

الشيعة العرب بعد الاحتلال:

كشف الغطاء بعد الاحتلال، وخرجت أضغان لم يكن يتوقعها أحد من العراقيين، فظهرت البهجة والسرور بمقدم المحتل، حيث تخرج النساء تهلل وتزغرد للدبابات الأمريكية في بغداد وللدبابات البريطانية في مناطق الجنوب والبصرة، يحملون لهم الزهور ويعانقونهم، حتى ركب بعض المعممين الشيعة على الدبابات الأمريكية فرحين مسرورين مترحمين على الرئيس الأمريكي بوش، هذا الذي حدث على أرض الواقع، ودعوني من تحليلات غير صادقة لرشيد خيون ومَن على شاكلته من علمانيي العراق، الذين يريدون زورا أن يدافعوا عن طائفتهم بخبث يمرروه على القراء السذج تحت غطاء القومية، أو بحجة التحليل العلمي.

بينما الواقع على الأرض هو: أن هناك فرحة شيعية عارمة تريد أن تتخذ يوم ٢٠٠٣/٤/٩ عيدا، ومن ثم تبارك دخول أحزاب عراقية عاشت بإيران أكثر من ٢٠ سنة، ومن أول أيام دخولها يبدأ مسلسل تصفية قيادات حزب البعث (لغاية شهر ٧ / ٢٠٠٣م تم قتل ٣٠٠٠ بعثي، منهم ٩ بعثيين شيعة فقط!!) احتلال مساجد للسنة، تهجير عوائل سنية[1]، واغتيال عشرات المرتدين من الشيعة (مصطلح يقصد به الشيعة الذين تسننوا) حيث تم قتلهم علنا. هذا واقع الشيعة العرب في العراق بعد الاحتلال وفي سنة ٢٠٠٣ مباشرة، وفي أيام الاحتلال الأولى.

اجتماعيا: استغرب الناس (السنة) وانصدموا في المناطق المختلطة وخاصة بغداد فقد تحول سلوك الشيعة اجتماعيا، فقد كشر الجار عن أنيابه لجاره وذهبت الوحدة واللحمة الاجتماعية، وشاهدتُ شخصيا طوابير من الشيعة ليأخذ الواحد منهم ٢٠ دولارا ليخبر الأمريكان عن سني مقاوم للأمريكان، أو بعثي متخفٍّ، إنه مجتمع محمل بالأحقاد قبل دخول الإيرانيين وأحزابهم، لكن التقيّة تُلجمه، وتغطي أضغانه، والآن مع زوال نظام صدام كشف عنه الغطاء فأصبح معتدياً على مجتمعه.

في المقابل يفتي السيستاني والحكيم برفض ومعارضة مواجهة الأمريكان، بل إنهم افتوا خفية بقتل العرب (السوريين والتونسيين والأردنيين وغيرهم) الذين قدموا من الدول العربية للوقوف بجانب العراق، قتلوهم غيلة كما اعترف من نجا منهم وعاد لبلده، وهذا حدث في جنوب العراق،

(١) في هذه المرحلة قاد السنةَ مجموعةٌ غير واعية من أمثال الحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) وأحمد الكبيسي الذي يشارك في مظاهرات بوسط بغداد (إخوان سنة وشيعة) بينما الشيعة لا يعترفون بهذه الأخوة، ويحملون لافتات لا فرق بين السنة والشيعة.

فهل كل هذا بتوجيه إيراني! إنه حقد طائفي قديم عمره ١٤ قرنا يحمله كل من حمل هذه العقيدة.

وكل هذا الواقع المرّ كان قبل ظهور تنظيم القاعدة حتى لا يخلط أحد أوراق التاريخ ويزعم أن القاعدة ضربت الشيعة واعتدت عليهم فرد الشيعة العدوان، لا تزوروا التاريخ أيها العرب العروبيون، فالحقيقة أن المجتمع الشيعي العربي برمّته وعامته – ولا تخبرني بهذا وذاك فالنادر لا اعتبار له- وغالبهم متوجه نحو طائفية مقيتة يحملها المتدين الشيعي والعلماني رضعوه من أمهاتهم الجاهلات اللواتي لا يعلمن القراءة والكتابة ولكنهن يرضعن الطائفية لأولادهن، يرضعنهن: الزيارة، واللطم، ومقتل الحسين، وأن السنة هم قتلة الحسين، ولأن الأم الجاهلة لقنت أولادها هذه الأفكار فما بال المثقف العلماني تخرج من بين جنباته الطائفية لا يستطيع كبتها فما بالك بالمعمم!

لقد وصل الحد بالعلمانيين أن سلوكهم يجعلهم «لا يتقبلون أي نموذج سني إسلامياً كان أو غيره، لأن مجرد القبول بالتنازل والتعايش مع السني يعني بالضرورة الانخلاع من المذهب والتبرؤ منه، والذوبان في إطار سني يلغي الهوية الشيعية ولا يبقي لها أثراً.

إن عدم وعي العلمانيين السنة بهذه الحقيقة تدفعهم للانخداع بنظرائهم الشيعة، مستدلين على صدق تمسكهم بالعلمانية بسلامة سلوكهم وخطابهم في أيام الحكم السابق، وذاك عهد أُجبر الشيعة فيه على التقيّة السياسية والحديث بلسان سني عروبي قومي، فلما زال الخوف من بطش النظام أسفروا عن وجههم الآخر وتحركت الحمية المذهبية عندهم»[1].

سيطر الشيعة على العراق كله بعد أن مكنهم الأمريكان، وحلوا كل الدولة السابقة، كان هذا من زمن حكومة الجعفري، والمالكي (٨ سنوات) وهو عربي أصيل، وفعلوا بالعراق ما فعلوا، وكلاهما من حزب الدعوة، ومعروف أن حزب الدعوة من أكثر الأحزاب الشيعية بُعدا عن إيران وثمة عداوة بينهما، ومع ذلك فقد سلم العراق لإيران وهو موجود في سدة الحكم، كما أن الجمهور الشيعي العربي يختار في كل الانتخابات أتباع إيران، هذا يعني أن الشيعة كمكوّن عشائري عراقي هو من يختار هؤلاء بمحض إرادته. وأن التوجه نحو إيران غير مفروض كما يتبجح بعض الصحفيين، وإنما هذا يقال من قبل هذا الشيخ وتلك النخبة عندما تخرج خارج البلاد تقية أو لكسب استعطاف العرب لكسب المال.

وثمة سؤال: أين ذهبت النخوة العشائرية والشرف الذي كان موجودا عروبيا، والذي يختفي يوما بعد يوم أمام الهجمة الشيعية الدينية التي تجتاح الجنوب، فبعد أن كان زواج المتعة في العراق مقصورا على الإيرانيات أصبحت بنات العشائر لا تأنف من هذا الزواج (منذ تشيع العشائر قبل ٢٠٠ سنة إلى سنة ٢٠٠٣)، وذهبت العادات أدراج الرياح؛ لأن المذهب والتدين أقوى بكثير من القوة العشائرية التي تضمحل تدريجيا، وإيران لم تنفق على العشرات من الفضائيات الشيعية التي تبث الكراهة للعرب، بل إن أبناء العشائر الجنوبية هم من ينفقون عليها.

ولا أدري ما سبب عداوة العشائر العربية لمجموعة فلسطينية مشردة من اليهود في فلسطين، تحمل وثيقة تعيش في العراق لعشرات السنين لتتولى العشائر العربية من جيش مقتدى الصدر العربي قتلهم والتمثيل بجثثهم في حي البلديات ببغداد، حتى قتلوا النساء وكبار السن، فأين هي عروبة مقتدى وهو عربي أصيل ليس بإيراني؟!

---

(١) من مقال في الراصد بعنوان (طائفية التيار العلماني الشيعي في العراق/ ١) العدد ١٠٦/ ١٤٣٣هـ.

وحشية طريقة القتل:

ولم يكتفوا بقتل أهل السنة والعرب، بل تفننوا في قتلهم بطرق وحشية وإجرامية لم تصل إلى خيال مخرجي أفلام هوليود، من قطع الرؤوس، واستخدام المثقاب الكهربائي، وحرق الجثث بالشوارع، وشيّ أطفال لأن أسماءهم عمر أو عثمان، وتقطيع أجسادهم، حتى قام آلاف السنة بتغير أسمائهم السنية كعمر وعثمان إلى أسماء شيعية أو عامة ليتخلصوا من الذبح.

فضلاً عن التهجير بالجملة وحرق وتهديم مساجد السنة، وسرقة ممتلكاتهم، وهذه الجرائم مارسها العرب الشيعة، ولم يمارسها الإيرانيون، فإن كان بتوجيه من الإيرانيين فتلك تبعية تدل على أن هؤلاء قوم لا يملكون قرارهم، وإن كان هؤلاء العرب فعلوا هذه الأعمال برضى منهم فلا معنى للدفاع عن عروبتهم.

الفرق بين الشيعة العرب والإيرانيين:

ربما يعترض معترض ويقول: إنك تناسيت أعمال الصرخي والحسني وغيره من المعتدلين العرب، فأقول له: الشيعة الإيرانيون لهم دافعان في العداء للمسلمين والعرب:

الأول: توجه قومي بأحلام الإمبراطورية الفارسية، الثاني: توجه طائفي يقصي ولا يعترف بغيره.

وأما الشيعي العربي فهو يحمل الدافع الطائفي فقط، لكن التوجه الطائفي هو مكمن لشرور كثيرة.

والسؤال هل يمكن فصل الشيعة العرب في دولنا عن إيران؟

والجواب: هذه أمنية تمناها الساسة العرب ونظروا لها في خطاباتهم ومقابلاتهم، لكن الشيعة عموماً يتحركون بشكل متناغم مع السياسة الإيرانية، ويستجيبون لأهداف هذه السياسة أكثر مِن استجابتهم لسياسات ومصالح الدول التي يسكنون فيها، رغم أنه من الممكن أن تسيطر إيران على مناطقهم وتذيقهم الأمرّين كما هو حادث لشيعة الأحواز، الذين بدأوا ينقلبون على إيران، حيث أصبح بعض شيعة الجنوب يجاهرون برفض السياسة الإيرانية بسبب اعتدائها على مصالحهم.

إن الحوزة مسيطر عليها من قبل إيران منذ ٤٠٠ سنة تقريبا سواء كانت في قم والنجف وغيرهما، والقيادة والريادة لإيران فيها.

فعلى السنة ألاّ يعوّلوا كثيرا على فرضية عدم ولاء شيعة العراق لإيران لأنه متغلغل بين الشيعة العرب، وحتى لو نُسفت إيران من الخريطة فالتشيع العربي بفكره الحالي هو شر قائم بذاته وإيران شر آخر، فإذا ذهبت إيران بقي شر التشيع، وأحلاهما مرّ.

وأنا كعراقي وأعيش في المنفى أعلم وأدرى بحقيقة التشيع من الصحفيين في مصر والأردن والمغرب العربي ممن لا يعرف التشيع إلا في ثنايا العالم الافتراضي والكتب والدراسات، ها هم الحوثيون العرب الأقحاح يقدمون مذهبهم وتبعية إيران على بلدهم، ويخربون بلادهم!

ومع هذا أقول: لا بأس بتجريب المجرب؛ لأن البعض لا يتعلم إلا من تجربته، وحاولوا أن تفصلوا الشيعة العرب عن الإيرانيين سواء في العراق والبحرين أو اليمن، أو سوريا[1]، ومن باب النصيحة طالبوا الشيعة العرب بخطوات عملية لإثبات أنهم غير تابعين لإيران، ولا تنخدعوا بالوعود والكلام المعسول، نريد خطوات واقعية على الأرض، فلعل كلماتنا تذهب أدراج الرياح ويصدق ما زعمتموه، والله من وراء القصد.

(١) لأن العلويين (النصيرية) عرب.

خفافيش الظلام أكذوبة التقريب بين السنة والشيعة

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا هو الإصدار الثاني في سلسلة الردود على الصفوية للشيخ الشريف عبد الرحمن الحسن السقاف، بعد كتابه الأول «الرد العتيد على الأفاك العنيد - فرية اغتيال النبي ﷺ - عرض ونقد»، وقد جاء كتاب/ موسوعة خفافيش الظلام في ثلاثة مجلدات، يبلغ عدد صفحاتها ٢٠٠٠ صفحة، منها ٢٨٠ صفحة وثائق ملونة من كتب الشيعة النادرة، ومنها حوالي ١٠٠ وثيقة من كتب الشيعة تنشر للمرة الأولى.

الكتاب/ الموسوعة حيث فعلاً هو موسوعة شبه متكاملة عن التشيع في التاريخ والشخصيات والعقائد والمواقف والأحداث السياسية، وإن كان الجامع لها دحض فكرة التقريب بين السنة والشيعة، وبيان بطلانها بالدين والسياسة والتاريخ والواقع.

قدم للكتاب د. عبد الله سمك، الرئيس السابق لقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة بجامعة الأزهر، وصدر مطلع عام ٢٠١٥ عن دار البصائر بالقاهرة.

أهمية الكتاب

تأتي من محورية الموضوع وهو دعوى التقريب بين السنة والشيعة، وهي الآلية التي اعتمدت عليها إيران وجحافل التبشير الشيعي في غزو بلاد المسلمين منذ عقود طويلة، وقد لقيت نجاحاً باهراً في تنفيذ مخططات التشيع وإيران في غزونا وتضليل أبناء المسلمين، فكان إبطال هذه الأداة المضللة والمخادعة أمراً في غاية الأهمية، ومن جهة ثانية تأتي قيمة الكتاب من حجم المعلومات الضخم الذي احتوت عليه صفحات الكتاب،

(*) كاتب أردني.

فيما لا تجده مجموعاً في كتاب واحد.

بنى المؤلف كتابه من أربعة أبواب، وواحد وعشرين فصلاً، على النحو التالي:

في الباب الأول تناول المؤلف التعريف بالصفوية ونشأتها وتاريخها، وتوقف طويلاً مع إجرامها وبطشها وإرهابها الذي لا يكاد يصدقه العقل من مدى بشاعته، وكل ذلك من مصادر إيرانية وشيعية.

فالصفويون في سبيل ترسيخ حكمهم ونشر دينهم الجديد (التشيع) قاموا بكل ما يندى له الجبين من قتل وتعذيب وتحريق لمن يرفض أن يتشيع أو يسب الصحابة، وكما هدموا قبور العلماء كقبر أبي حنيفة وحولوه إلى مكان لقضاء الحاجة! وهذا التاريخ البشع لا تزال تسير على نهجه الميلشيات الشيعية الطائفية في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن، وهؤلاء في الحقيقة هم قدوات داعش وأمثالها من الكيانات المتطرفة، وهذا الفصل يمكن أن يكون كتابا مستقلا بذاته.

ثم استعرض المؤلف تاريخ فكرة التقريب وإنشاء دار التقريب في القاهرة، حيث بدأ بالترويج للتقريب محمد القمي الإيراني سنة ١٩٣٨، وتوجت بإنشاء دار التقريب سنة ١٩٤٨.

في الباب الثاني قام الشريف السقاف باستعراض حقيقة مواقف تسعة من علماء الشيعة الكبار والمعتبرين والمعاصرين تجاه فكرة التقريب وهم:

مؤسس التقريب محمد القمي، المرجع حسين البروجردي، المرجع عبد الحسين شرف الدين، المرجع الخميني، المرجع محمد باقر الصدر، المرجع محمد الحسيني الشيرازي، المرجع محمد حسين فضل الله، المرجع جعفر السبحاني، آية الله علي الأمين.

والمؤلف في استعراضه لحقيقة مواقف هذه الشخصيات من دعوى التقريب بين السنة والشيعة قام بطرح وعرض وتفنيد كثير من الشبه الشيعية، وقد توسع في ذلك بحيث يمكن الاعتماد على كتابه في مناقشة هذه الجزئيات، ومنها سميت الكتاب موسوعة.

وقد استعرض المؤلف نبذة من حياة كل شخصية ثم عرض لأفكاره الشيعية التي تتعارض مع فكرة التقريب، فهم يؤمنون بالولاية ويصرحون بكفر من لا يؤمن بها، ويكفّرون الصحابة ويطعنون بهم، فكيف تقبل بعد ذلك دعواهم بالتقريب؟ إن الحقيقة أن دعوى التقريب نوع من التقية والخداع يمارسه هؤلاء لنشر التشيع في أوساط المسلمين.

وجاء الباب الثالث ليستعرض الجهة المقابلة وهم علماء السنة وموقفهم من دعوى التقريب، وقسمهم إلى علماء ومفكرين تأثروا بدعوة التقريب، وهم:

الشيخ محمود شلتوت، الشيخ عبد المجيد سليم، الشيخ محمد المدني، الأستاذ حسن البنا، الأستاذ سيد قطب، د. فتحي يكن، د. فتحي الشقاقي، د. محمد سعيد البوطي، د. راشد الغنوشي، الأستاذ أنور الجندي، د. عبد الكريم زيدان، الشيخ محمد الغزالي، الشيخ محمد أبو زهرة، د. نصر فريد واصل، سيد طنطاوي، د. علي جمعة، د. أحمد الطيب، د. عبد الله المطلق، د. محمد سليم العوا.

وعلى غرار عمله في استعراض علماء الشيعة قام بتقديم نبذه عن كل شخصية ثم استعرض كلام أو موقف هذه الشخصيات من التشيع، وقد يكون هناك نوع من التباين في الرأي تجاه موقف بعض هذه الشخصيات من التشيع، لكنه قام بجهد متميز في جمع كلامهم ومواقفهم ومناقشتها.

والقسم الثاني من علماء وشخصيات السنة هم الذين كشفوا خدعة دعوى التقريب، وهم:

الشيخ رشيد رضا، د. مصطفى السباعي، الأستاذ محب الدين الخطيب، الشيخ موسى جار الله، الشيخ أحمد عرفة، الأستاذ محمود الملاح، الشيخ حسنين مخلوف، الشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيخ محمد منظور

نعماني، الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ الألباني، الشيخ أبو الحسن الندوي، الشيخ عبد اللطيف السبكي، الشيخ علي الطنطاوي، الشيخ إبراهيم الجبهان، الأستاذ سعيد حوى، د. محمد الجوزو، الشيخ محمد سرور زين العابدين، الشيخ محمد مال الله، د. علي السالوس، د. ناصر القفاري، الشيخ يوسف القرضاوي، د. وهبة الزحيلي، الشيخ موسى كرمبور.

ثم استعرض عقائد الشيعة التي تتعارض مع دعوى التقريب بنوع من التفصيل، وهي:

عصمة الإمام، عقيدتهم في الله عز وجل، الغلو في الأئمة ورفعهم لمقام الربوبية، معنى الشرك عند الشيعة، تحريف القرآن، تكفير الصحابة، عقيدة الطينة التي تعني أن الشيعة خلقوا من طينة أفضل من طينة بقية البشر! وعقيدة الرجعة والتقية.

وعرج المؤلف على موقف الشيعة من المخالف لهم والذي يقوم على: جواز واستحباب سب ولعن المخالف/ المسلم، وانتفاء الأخوة معهم، وهتك حرمتهم، وعدم صحة عبادات المسلمين المخالفين للشيعة، وتكفير المسلمين السنة، ثم قارَن بين اعتدال أهل السنة في عدم التسرع للتكفير بخلاف الشيعة، وهذا الفصل يصلح أن يكون كتابا مستقلا كذلك.

ثم تناول باستعراض سريع تطبيقات هذه العقائد العدوانية تجاه المسلمين، والتي تجسدت في اعتداءات الشيعة على المواطنين في العراق والكويت ولبنان.

وخصص المؤلف الفصل الرابع لفضح دعوى التقريب من المنظور السياسي، فاستعرض فيه طائفية الجمهورية الإيرانية الخمينية الشيعية من ناحية الاسم ومواد الدستور، والنزعة الشعوبية الفارسية المهيمنة على النظام الحاكم، وفصل في الأطماع التوسعية لإيران تجاه الدول المسلمة المجاورة لها، عبر تصدير الثورة الإيرانية، وكشف خطورة التقية السياسية التي ترتكز عليها السياسة الإيرانية ثم تناول تلاعب إيران ووكلائها بالقضية الفلسطينية، وعدوانها باحتلال الجزر الإماراتية.

وبعد ذلك أفرد فصلاً خاصاً بالقضية العربية المنسية وهي القضية الأحوازية، وأعقبه بفصل طويل عن نموذج سياسة شيعة البحرين وإيران كنموذج لحقيقة ولاء التجمعات الشيعية في البلاد العربية، وختم هذا الفصل بفتاوى عديدة لمراجع الشيعة بحرمة الأمر بالمعروف عند الشيعة في الظروف الحالية، ومع هذا لا يتقيدون بهذه الفتاوى لأنها تتناقض مع المصالح والمخططات الإيرانية ومقدار القوة التي يمتلكونها الآن.

ثم ختم الكتاب/ الموسوعة بنداء للسنة ضمّنه توصيات للتصدي للخطر الإيراني والشيعي، ونداء للشيعة بمراجعة دينهم ومراجعة سياستهم، حتى لا يخسروا الآخرة والدنيا مهما تجبروا وطغوا.

بعد هذه الجولة الطويلة والطواف الواسع يخلص القارئ للكتاب/ الموسوعة بعبثية التقريب، فدعاته لا يؤمنون به وإنما يتخذونه سلما لنشر التشيع، وهم إنما يؤمنون بالعقائد الشيعية الغالية، وسلوكهم السياسي في إيران والبلاد العربية سلوك عدواني إرهابي يستند لتلك العقائد المتطرفة، وعليه فالتقريب أكذوبة.

في الختام: الكتاب بذل فيه مؤلفه جهداً عظيماً، في جمع المادة من مصادر كثيرة نادرة ومتنوعة، وألّف بينها ورتبها بشكل يفيد القارئ، وبقيت ملاحظة مهمة تجعل من الكتاب أكثر نفعاً وفائدة وتقرب كنوزه ودرره للباحثين، وهي ضرورة القيام بعمل فهارس علمية وموضوعية تفصيلية لمباحثه، فالفهرس الحالي يظلم الكتاب كثيراً.





فعلاً

قــالوا: أظهـرت عاصـفة الحـزم كـم هـو عظـيم الرأسمـال الـسياسي الـذي تملكـه الـسعودية وكـم هو مؤثر حينما يوجه الوجهة الصحيحة.

د. محمد مختار الشنقيطي – تويتر

يضر مَن إذا؟

قالوا: تزويد إيران بالصواريخ لا يضر إسرائيل.

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين – العربية نت ٢٠١٥/٤/١٦

موقف الشعب الإيراني من دعم الحوثيين

قــالوا: طلبـت «إيـران وايـر» مـن قرائهـا الفارسـيين معرفـة مـوقفهم مـن دعـم إيـران للحـوثيين في الـيمن، وأتاحـت لهـم خيـارًا مـن أربـع إجابـات. وتـشير الموافقـة علـى الإجابـة الأولى أو الثانيـة إلى أن إيـران كانـت علـى صـواب في تدخلـها. حيـث تقـول الإجابـة الأولى إن لـدى إيـران واجبًـا في الـدفاع عـن الـشيعة المعرضـين للظلـم في أجـزاء أخـرى مـن العـالم، وتقـول الإجابـة الثانيـة إن المـصالح الإقليميـة الإيرانيـة تقتـضي بـسط إيـران لنفوذهـا في بلـدان مثل الـيمن مـن أجـل إضـعاف النفوذ السعودي.

وقـد تلقـت الإجابتـان الأولى والثانيـة مـا يقـرب مـن ثلـث الأصـوات؛ ممـا يـشير إلى أن واحـدًا مـن كـل ثلاثـة قـراء باللغـة الفارسـية يوافـق علـى أن إيـران كانت على صواب في تدخلها باليمن.

وبـررت غالبيـة هـذه العينـة التـدخل علـى أسـاس التنـافس الإقليمـي مـع المملكـة العربيـة الـسعودية، بـدلًا مـن الحاجة إلى الـدفاع عن الـزملاء الـشيعة. وقـال مـا يعـادل أكثـر مـن ربـع المـشاركين في الاسـتطلاع إن الـدعم الإيرانـي للحـوثيين مـبررٌ مـن أجـل إضـعاف النفـوذ الـسعودي، في حـين أيـدت نـسبة ٤ ٪ فقـط التـدخل الإيرانـي في سـبيل «مـساعدة» الإخـوة المسلمين.

وحتـى الآن، مـا زال الـرد الأكثـر شـعبية في الاسـتطلاع هـو الخيـار الثالـث، والـذي يقـول إن علـى إيـران ألا تـشارك في الـصراع؛ لأنهـا يجـب أن تركـز على مساعدة الشعب الإيراني بدلًا من الحوثيين.

وقـد تلقـت هـذه الإجابـة تأييـد ٦٣ ٪ مـن أصـوات المـشاركين في الاسـتطلاع؛ ممـا يـدل علـى أن غالبيـة قـراء «إيـران وايـر» بالفارسـية يعارضـون التـدخل الإيرانـي في الـيمن، سـواء كـان هـذا التـدخل عـسكريًا أو ماليًـا، ويؤمنـون بـأن الـشعب الإيرانـي بحاجـة إلى المـساعدة. ويـشعر الكـثير منهم بمـشاعر مماثلـة تجـاه حـزب الله اللبنـاني. وفي أعقـاب الانتخابـات الرئاسـية المتنازع عليهـا لعـام ٢٠٠٩، هتـف المحتجـون الإيرانيـون بـشعار «لا غـزة، ولا لبنـان، حياتي لإيران».

وأخيرًا، الإجابة بأن تورط إيران في اليمن ودعمها للحوثيين ليس أكثر من كذبة غربية هدفها إلحاق الضرر بسمعة إيران. ولم يحصل هذا الرد، والذي تبنى النظرة المعادية للغرب، إلا على ٦ ٪ فقط من أصوات المشاركين في الاستطلاع. ولكنه مازال مهمًا على الرغم من ذلك؛ حيث إنه يدل على أن بعض الإيرانيين يكنّون شعورًا قويًا من عدم الثقة تجاه القوى الغربية، وهو الأمر الذي قد يبدأ بالتغيير إذا ما تم التوصل لاتفاق نووي يوم ٣٠ من يونيو/ حزيران.

صحيفة التقرير

٢٠١٥/٤/١٧

وأين الولاء والبراء؟

قالوا: هجومنا على حماس وقادتها السياسيين لا يشمل المجاهدين في كتائب القسام.

أنصار داعش –

موقع الإسلاميون ٢٠١٥/٤/١٧

عادتهم

قالوا: الحوثيون نقضوا أكثر من ٦٠ اتفاقا خلال ثلاث سنوات.

السفير السعودي عادل الجبير –

المختصر للأخبار ٢٠١٥/٤/١٥

داعش الهندوس

قالوا: دعا زعيم الحزب القومي الهندوسي (ديفا ثاكور) إلى الحيلولة دون تكاثر المسلمين والمسيحيين في الهند عن طريق إخصائهم.

مختصر للأخبار

٢٠١٥/٤/١٥

داعش يهودي

قالوا: الحاخام دروكمان: أنا فخور بكوني إهابيا، وقاتِلو العرب يستحقون جائزة.

د. صالح النعامي –

تويتر ٢٠١٥/٤/١١

لا تعودوا للجاهلية

قالوا: قال الشيخ كمال محمد، وهو مسؤول بالأزهر الشريف، إن «الأحكام الشرعية لا يمكن التخلي عنها، والفتاة المسلمة يلزمها شرعًا ارتداء الحجاب، ومؤكدًا أن «مطالبة المرأة بخلع الحجاب، عودة بها إلى عصور الجاهلية».

وكانت دار الإفتاء المصرية، أعلنت أن «حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سن التكليف، وهي السن التي ترى فيها الأنثى الحيض، وهذا الحكم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة».

شبكة رصد

٢٠١٥/٤/١٥

الليبراليون يعترفون... صدق الإسلاميون

موقع المثقف الجديد-٢٠١٥/٤/١٧

لطالما قام بعض الإعلاميين والمثقفين المحسوبين على التيار الليبرالي أو حتى التنويري بانتقاص عقول وأساليب الدعاة والمربين والاستهزاء باستنتاجاتهم والتقليل من آرائهم، وانتقاد طرق تفكيرهم ومقارناتهم وخاصة عند الحديث عن «الغرب» شعوبا ومنظمات وحكومات، وعادة ما يتم تكذيب التحليلات والأرقام والإحصائيات التي يتطرق لها الدعاة والمربون في محاضراتهم عن التناقض الكبير بين معدلات الجريمة والاغتصاب والسفاح واحتقار المرأة وبين القيم والمبادئ «الفاضلة» التي تروجها المنظمات الغربية.

وغالبا ما يتم رفض توجساتهم وخوفهم من مشاريع ونوايا المنظمات الغربية وبالذات الحقوقية منها، وكذلك غالبا ما كان يتم رفض تحذيرات بعض الدعاة من الأطماع الفارسية المجوسية ويتم اتهامهم بالمبالغة وقصر النظر أو أنهم ضد التقارب المذهبي والإسلامي والحوار الحضاري.

وقد أيقظ (الخلاف مع السويد) ومن بعده (عاصفة الحزم) الإعلام السعودي والخليجي من سباته الفكري العميق ليستفيق ليبدأ جولات من الرد والتكذيب والتشكيك في القيم الغربية الهشة والنوايا الفارسية الخبيثة.

الشهر الماضي وبسبب المشكلة الدبلوماسية بين السعودية والسويد نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في موقعها الإلكتروني مقالا يهاجم ويفند نقد منظمات ومسؤولين غربيين بخصوص حقوق الإنسان في السعودية وكأن صحيفة «الشرق الأوسط» للتو فاقت من غيبوبتها الفكرية وللتو فقط استشعرت مسؤوليتها الإعلامية والثقافية، وأضاف المقال أن الهجوم ضد السعودية إنما يراد منه حماية «أصحاب الادعاءات والتهجمات غير المسؤولة من انتهاكات حقوق الإنسان» التي تحدث في المجتمعات الغربية.

والغريب ولأول مرة في جريدة مثل «الشرق الأوسط» يتطرق مقال إلى أرقام وإحصائيات وأنواع الجرائم الجنسية والعرقية في بلد غربي والسويد مثالا على ذلك، عندما تطرق إلى أن «هناك ٥٠٠٠ آلاف جريمة عنصرية وكراهية بسبب الدين والعرق والجنسية»، وكيف أن الجرائم في زيادة مطردة ومخيفة «رغم قيم العدل والحرية والإنسانية»، كاشفا أيضا «وجود ٢٧ ألف جريمة ضد المرأة في عام واحد فقط»، وازدياد حالات التحرش بالمرأة السويدية في أماكن العمل، وكيف أن العنف ضد المرأة السويدية في تصاعد مرعب، ويؤكد الكاتب أن كل معدلات الجريمة هذه تحدث في دولة «تروج لقيم الحرية والعدالة»، وأخيرا انتقد غض الطرف عن مثل هذه الانتهاكات

الإنسانية من قبل حكومة غربية..

وحتى حاليا في (عاصفة الحزم) بدأت الصحف الخليجية الهجوم على إيران والطعن في نواياها والتحذير من أطماعها الفارسية المجوسية، وأصبحت الصحف تشعر بالخطر الإيراني ، وراحت تنتقد الدور والنعرة الفارسية الطائفية في تفتيت المنطقة وبث الفتن والخلافات بين أبناء البلد العربي الواحد، وكأنها للتو عرفت إيران وخططها التوسعية ،والتي لم تكن أبدا خافية على أحد فهي ضمن أجندة واضحة ومعلن عنها منذ الثورة عام ١٩٧٩م.

أليست الأرقام السابقة ونداءات التحذير من نوايا الفرس والمجوس الخبيثة هي نفس الأرقام والتحذيرات التي يرددها ويستشرفها الدعاة والمربون وبعض القنوات الإسلامية الذين ما انفكوا يحذرون من زيف وهشاشة القيم الغربية وسوء نوايا المنظمات الدولية ومن كذب وسوء النوايا الفرس الطامعين، لماذا يتم التشكيك والتقليل من تحذيرات هؤلاء الدعاة والمربين، في حين تحاول «الشرق الأوسط» التأكيد بصحة الأرقام برجوعها لوزارة العدل السويدية، وما يحدث في السويد هو نفسه أو ربما أقل مقارنة بما يحدث في جميع المجتمعات الغربية الأخرى، ولماذا كان الإعلامي والمثقف الخليجي يرفض أبحاث العلماء وأصوات الدعاة وقنوات إسلامية مثل (وصال) التي كانت تنادي بضرورة الالتفات إلى الأطماع المجوسية ودق ناقوس خطرها طويل المدى على المنطقة العربية والإسلامية ، وغالبا ما كان يتم كيل الاتهامات لأمثال هؤلاء الدعاة والقنوات بزرع الفتنة وبث الفرقة الطائفية..

هل الإعلام السعودي والخليجي بحاجة إلى مزيد من الخلافات الدبلوماسية مع الدول الغربية كما حدث مع السويد، وإلى مزيد من الصراعات المسلحة مع الفرس حتى يقرر الكتابة وكشف زيف وازدواجية وخداع مبادئ الحرية والعدالة التي تروج لها المنظمات الغربية وحتى يؤمن بوجود أطماع مجوسية حقيقة على الأرض لا مجرد خطب سياسية على الورق.

طهران ترتبك في اليمن

د. محمد الجميح – القدس العربي ٢٠١٥/٤/٩

«حسن نصرالله» وكيل إيران في لبنان يدين «عاصفة الحزم»، ضد وكيلها في اليمن «عبدالملك الحوثي»، ويعد الأمة بالنصر في اليمن في خطابه الأخير، ويتوعد الغزاة بالهزيمة، متجاهلا أن تطبيق معاييره في تعريف «الغزو» يجعل تدخل مليشياته في سوريا غزوا خارجيا، مصيره الهزيمة كذلك.

الواقع أنه لا جديد في الأمر، «نصر الله» طائفي حتى النخاع، ويتضامن مع الحوثيين - من منطلق طائفي - بعد أن فارقوا زيديتهم إلى نوع من التشيع الإيراني، الذي يقول «نصر الله»، عن نفسه، إنه وفقاً لهذا التشيع، مؤمن «بأن سماحة الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي إمام المسلمين وولي أمر المسلمين».

من هنا سوغ «نصر الله» لإيران تدخلها في البلاد العربية، من منطلق أن «علي الحسيني الخامنئي»، هو ولي أمر المسلمين، وهو المسؤول - إذن - عن جميع بلاد المسلمين. غير أن «نصر الله» لا يسوغ تدخل العرب في موطنهم الأول (اليمن) لإنقاذه من سيطرة مليشيات إيران، على اعتبار أن العرب ليسوا «أئمة للمسلمين»، مثل «علي الحسيني الخامنئي».

الشيء اللافت أن «نصر الله» الحريص على منتجة وإخراج خطاباته المتلفزة، أدرك مؤخرا أن خطاباته لم تعد تلقى قبولا لدى جمهوره الذي ضلله سنوات طويلة، ففضل أن ينزع عنه «مسوحه

الطيبة»، ليكشر عن أنياب طائفية بشعة، عندما تحدث عن محاولات سعودية لتحويل قبائل اليمن إلى التسنن، وهو يعلم أن الزيدية في الأصل حنفية الفقه، وهي أقرب إلى السنة منها إلى الإمامية التي كفرت الإمام «زيد»، وحرمته من مقام الإمامة.

كما يعلم «نصر الله» أن الشاه «إسماعيل الصفوي» حول الإيرانيين بالبطش والإرهاب - قبل قرون - إلى التشيع الصفوي الذي كرس من عزلة إيران بين المسلمين منذ ذلك الحين، وجعلها تنفذ كل حروبها ضدهم، إذ لا يعلم أن حربا واحدة خاضتها إيران ضد غير المسلمين، حتى منذ دخولها الإسلام وإلى حروبها المعاصرة في سوريا والعراق واليمن.

وعودة إلى «نصر الله» الذي توعد السعودية بالهزيمة على يد الحوثيين، نقول إن هذا الشيخ المؤدلج يعيش مأساة انهيار رمزيته، ويشاهد المسلمين الذين يتحدث باسمهم يحرقون صوره ويدوسون عليها في مشاهد رامزة، توضح انهيار أحلام الإمامة المهدية الإيرانية، التي ابتكرها الإيرانيون للسيطرة على العرب تحت راية دينية ملتبسة.

أحس «نصر الله» وغيره من وكلاء طهران في المنطقة بأنهم في ورطة حقيقية، وأن مشروعهم الذي أسست له ثورة الخميني في تراجع على المستوى الشعبي والعسكري في المنطقة، أحس بأن العرب أفاقوا من وهم «المقاومة والممانعة» على الطريقة الإيرانية، وأنهم أدركوا أن تلك الشعارات لم تكن إلا ستاراً بشعاً للتغطية على طموحات إيران في السيطرة على ما تعده إرثاً فارسياً في المشرق العربي، ولذا فقد نصر الله كياسته المعهودة في تزويق الكلام وتطريزه.

مأساة نصر الله هي مأساة قادة إيران، التي تتمثل في أنهم أقلية، وهذا بالنسبة لهم أمر يجب تغييره. ويكون تغييره بقلب المعادلة، وتغليب الأقلية، عن طريق إنتاج «أقلية كيفية»، تستطيع التحكم في «الأغلبية الكمية»، تمهيداً لتحويل الأغلبية إلى أقلية، وجعل الأقلية أغلبية كما وكيفا، وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه المشروع الإيراني في المنطقة، وهو مشروع يتمدد بشكل نسبي لفترة من الزمن، ثم ينكفئ بشكل مريع وسريع، كما يقول لنا التاريخ. «عاصفة الحزم» ليست حربا على اليمن، ولا على الجيش اليمني، ولكنها حرب عربية على الوجود الإيراني في اليمن، ولذا خرجت المظاهرات تأييداً لها، رغم سطوة الحوثيين وقمعهم للمتظاهرين.

وما يزيد من حنق الإيرانيين وغيظ وكلائهم في المنطقة أن أيديهم بترت بالفعل عن التدخل في اليمن، حيث قطعت رحلات «سفن المساعدات للشعب اليماني المسلم»، التي تأتي محملة بالأسلحة، والتي كان آخرها سفينة رست في ميناء الصليف اليمني، على البحر الأحمر محملة بمئة وستين طناً من الأسلحة، مرسلة كهدية من الحرس الثوري الإيراني الشقيق للشعب لتدك مدن «الشعب اليمني المسلم الشقيق».

كما أن الأجواء اليمنية محظورة اليوم على الطائرات الإيرانية، التي كانت قد ابتهجت بتدشين خط ملاحي إلى صنعاء بعشرات الرحلات الأسبوعية، رغم انعدام العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياحية بين البلدين، ليبقى احتمال وحيد لهدف تلك الرحلات، وهو نقل الأسلحة والمليشيات الطائفية التي كانت طهران قد وضعت الخطط لنقلها إلى اليمن قبل «عاصفة الحزم».

أما البر فإن الإيرانيين لا يملكون حدودا برية مع اليمن، وهو ما جعل إيران تدرك أن خياراتها العسكرية تكاد تكون منعدمة في هذه الحرب، الأمر الذي جعلها تلوذ بالعمانيين، ولحيدر العبادي الذي أباح تكريت لمليشيات الحشد الشيعي الطائفية، قبل أن يغطي على جرائمها بكذبة إخضاعها لقيادته، لتقوم بالمهمة ذاتها في الأنبار.

يحسب للإيرانيين أنهم يعملون بذكاء، وأن نفسهم طويل، وأنهم يلجأون لكل الوسائل الممكنة لتحقيق الهدف، غير أنهم يمسهم الرعب الحقيقي من انكشاف وجوههم، ومن توحد صف عدوهم. وفي تصوري أن الأمرين قد حدثا، حيث أماط «نصر الله» عن وجهه القناع، وتوحدت الدول العربية المهمة في مشروع «عاصفة الحزم».

هل ستكون هزيمة إيران في اليمن الخطوة الأولى في تراجع مشروع طهران الكبير في السيطرة على المقدرات العربية، وتسخيرها لخدمة طموحات واهمة في مخيلة خامنئي وقادة الحرس الثوري، التي سعت للتوسع عن طريق أدوات عربية، منها حسن نصرالله وعبدالملك الحوثي.

بداية الهزيمة كانت بنهاية «الخديعة الكبرى» التي مكنت إيران من التغطية على عداوتها الحقيقية للعرب، بعداوة شعاراتية لأمريكا وإسرائيل.

"القوميون الأوربيون والأسلمة"... فزاعة اليمين المتطرف ضد المسلمين

التقرير -١٣/٤/٢٠١٥

استنكر خبراء أوروبيون أصوات اليمين المتطرف التي بدأت تعلو في الشهور الأخيرة والتي تهاجم ما اعتبرته «أسلمة» أوروبا، معتبرين أن ذلك الهجوم يهدف إلى «إقصاء المسلمين»، ومع نهاية العام الماضي، ظهرت حركة «بيغيدا» أو «القوميون الأوربيون ضد الأسلمة» والتي بدأت من مدينة درسدن الألمانية وامتدت لدول أوروبية أخرى منها النمسا؛ مما زاد المخاوف من الصورة النمطية لدى البعض (مساجد بشوارع أوروبا وحجاب للنساء) وجعل البحث في هذه الظاهرة من خلال أفكار واتجاهات سياسية ودينية مختلفة أمرًا مطروحًا على الساحة.

اليمين المتطرف

وقال طرفة بغجاتي، رئيس مبادرة مسلمي النمسا ومنبر الحوار الإسلامي المسيحي (غير حكوميين)، إن «القضية تتمثل في أن اليمين المتطرف في أوروبا ينظر إلى الأمور بمنظور ضيق ينكر كل ما حوله»، وأضاف «بغجاتي» أن «آخر ما وصل إليه هؤلاء العنصريون في أوروبا هو استخدام العداء للإسلام بأسلوب سطحي يثير عواطف الناس كوسيلة سريعة للحصول على أصوات فئات المجتمع غير الراضية عن الوضع العام، وتعتبر نفسها مظلومة أو مهمشة»، مشيرًا إلى أن «العنصريين يقدمون الإسلام ككبش فداء».

أما عمر الراوي، العضو المسلم ببرلمان فيينا عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي، فقال إن «اليمين المتطرف يستخدم مصطلح الأسلمة للتحريض ضد الأقليات»، وأضاف أن «مسلمي أوروبا جزء لا يتجزأ من القارة»، مشيرًا إلى أن «تعدادهم (المسلمين) سيزداد، كما سيكونون جزءًا فعالًا وإيجابيًا في المجتمع ويحملون القيم الأوروبية بجانب القيم الإسلامية السمحة، ويؤمنون بالتعددية واحترام الآخر، ويشاركون كجزء من هذا التناغم الكبير في إيجاد حلول لتحديات العصر».

٤٤ مليون نسمة

ووفق مركز بيو الأمريكي للأبحاث (غير حكومي)، فإن تعداد المسلمين في أوروبا ٤٤ مليون نسمة ما يمثل ٦ في المئة من تعداد السكان، وأضاف المركز في تقريره الصادر في مارس/ آذار الماضي، أن هذا العدد سيصل عام ٢٠٣٠ إلى ما يقرب من ٥٨ مليون مسلم أي بنسبة ٨ في المئة من تعداد السكان.

وقال السيد الشاهد، مدير مركز الأبحاث الثقافية والإسلامية بفيينا (غير حكومي)، إن «الكثير من وسائل الإعلام الغربية تلعب دورًا

كبيرًا في تأجيج مشاعر الشعوب الأوروبية لإقصاء المسلمين»، وأضاف أن «تأثير دور الإعلام يبدو جليًا عندما تنقل الصورة في منطقة الشرق الأوسط لاسيما فيما يتعلق بالأحداث الإرهابية والمتطرفة والتي لا علاقة لها بالدين الإسلامي بطبيعة الحال».

مجال الدعوة في أوروبا

يذكر أنه ووفقًا لتقديرات معهد الدراسات الإسلامية بجامعة فيينا، يعيش في النمسا حوالي ٥٧٤ ألف مسلم بنسبة ١٢ بالمئة من السكان، والنسبة آخذة في الارتفاع، ومن المتوقع أن تصل نسبتهم بحلول عام ٢٠٤٦ إلى ٢١ في المئة؛ نظرًا لزيادة الهجرة إلى أوروبا وكثرة المواليد بين المسلمين.

ويرى الشيخ محمد فرج، الناشط في مجال الدعوة الإسلامية في أوروبا، أن المخاوف من الإسلام «لا مبرر لها»، وقال إن «المسلمين عاشوا مع المسيحيين واليهود في ظل الدولة الإسلامية في العصر الأندلسي (من ٧١١م إلى ١٤٩٢م) في سلام وأمان بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ»، وأضاف أن «المسلمين لن يكونوا أغلبية في أوروبا، وإن حدث ذلك فرضًا وجدلًا فلن تتغير الصورة عنها في العصر الأندلسي».

من أقلية هادئة إلى قوة قمعية

وفنّد محلل الشؤون السياسية والإسلامية، توماس شمدينجر، في تقرير للتليفزيون النمساوي الرسمي (أو آر إف)، ما رآه من «ادعاءات» البعض بأن الإسلام يتسلل ببطء إلى أوروبا، وسيزداد أعداد المسلمين ويصبح حضورهم أكثر على الساحة وفي وسائل الإعلام، وسيتحولون من أقلية هادئة إلى قوة قمعية عندما يصبحون الأغلبية، وقال شمدينجر إن «الإسلام دين يعرف الدعوة مثل المسيحية التي تعرف التبشير، بهدف تعريف الغير بالدين وإقناعه بأنه هو الحق».

التحذيرات المتكررة

واعتبر أن «التحذيرات المتكررة من كارهي الإسلام ضد الأسلمة تعبير عن شكل من أشكال الحقد على الإسلام»، منوهًا إلى أنهم دائمًا ما يهاجمون الجمعيات والمساجد والحركات الإسلامية ويتهمونها بأنها «الأخطبوط الذي يريد أسلمة أوروبا»، على حد وصفه، وتابع أن «المسلمين في أوروبا سيظلون أقلية، ولكن أعدادهم آخذة في الارتفاع»، لافتًا إلى أنه «لا يمكن فهم هذه الزيادة على أنها أسلمة لأوروبا، ومن يقول بغير ذلك فهو هراء».

الأسلمة بالمعنى التاريخي

وقال إن «الأسلمة بالمعنى التاريخي تمت في المراحل المبكرة من خلال التوسع الجغرافي (الغزوات) بعد أن نجح الرسول محمد (ﷺ) في نشر الدعوة بشبه الجزيرة العربية»، فيما تقول سوزانا هانيه، الخبيرة في الحوار الإسلامي المسيحي، في التقرير ذاته إن «موضوع الأسلمة ارتبط بالجوانب التاريخية خاصة الحروب التي قادها الحكام المسيحيون في أوروبا (الحروب الصليبية)»، وأوضحت أنه «كان هناك عمل من أجل جعل الدين سواء المسيحية أو الإسلام هو دين الدولة»، ولفتت إلى أن «كثيرًا من المسيحيين البروتستانت فروا إلى مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية؛ لأنهم كانوا قادرين على ممارسة شعائرهم الدينية بحرية».

استراتيجية إيران تجاه الثورات العربية
تكتيك جديد يستثني سوريا واليمن

د. محمد بن صقر السلمي – صحيفة مكة ٢٠١٥/٤/١٢

تتسم السياسة الإيرانية بالازدواجية الواضحة أحيانًا، في تعاطيها مع كثير من الأحداث على الساحة الإقليمية والدولية. وكانت التغيرات السياسية التي عصفت بالمنطقة العربية منذ نهاية ٢٠١٠، أو ما يعرف بـ «الربيع العربي» دلالة جليّة على ذلك، فكان الموقف الإيراني مرتبكًا إلى حد كبير حيث أيدت طهران بعض هذه التغيرات

السياسية ورحبت بها ولكن ما إن وصلت موجة التغيير إلى حليفها السوري حتى تغير الموقف وعملت على الفصل بين جميع الثورات العربية من جانب، والثورة السورية.

ولضمان تحقق أهدافها الاستراتيجية بالمنطقة وحماية أذرعها في الداخل العربي، دافعت طهران بكل ضراوة عن نظام بشار الأسد وعملت على إقناع الدول الغربية بصحة موقفها من الأحداث التي تعصف بمنطقة الشرق الأوسط وتسوق لذلك بسبل متعددة ووسائل متنوعة.

في هذا الصدد، تمثل الأزمة السورية وموقف الجانب الإيراني منها نموذجا جليا لهذه الازدواجية، ولا أقول البراغماتية، حيث يتضح أن قراءة إيران لطبيعة الأحداث في سوريا وأسباب ذلك والجهات التي تقف خلفها قد شهدت الكثير من التغيرات والتحولات وفقا للمصالح الجيوسياسية والأيديولوجية والسياسية.

وللوقوف على ذلك بشكل دقيق، فقد تم تقسيم هذا التقرير إلى ثلاثة أجزاء رئيسة هي:

١ - موقف إيران من «الثورات العربية»:

عندما انطلقت شرارة ما يسمى بالربيع العربي وأطاحت بالأنظمة في تونس ومصر واليمن وليبيا، بدأت إيران بالترحيب بهذه التغيرات على الساحة العربية واعتبرتها «متعلقة بكرامة الشعوب» وأنه «سيأتي يوم وتشتعل هذه البلدان التي نارها لا تزال تحت الرماد»، تعني بذلك بطبيعة الحال دول الخليج العربي. وعنونت جميع تحركاتهم بالكرامة القومية والعدالة الاجتماعية والحرية وجميعها تحت ظل الدين الإسلامي.

لم يقف الترحيب الإيراني الكبير بهذه التغيرات على الساحة العربية عند هذا الحد، بل ربط ذلك بما أسماه بـ «الصحوة الإسلامية» وأن هذه التطورات استلهمت حِراكها السياسي من الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، وأن «الصحوة الإسلامية هي الكلمة الثابتة والمتأصلة، وتريد الشعوب الإسلامية العدالة والحرية والديموقراطية وكذلك يريدون الاهتمام بهويتهم الإنسانية التي يرونها في الدين الإسلامي، وليست في المدارس الأخرى».

٢ - أزمة سوريا ومسبباتها:

بدأ الموقف الإيراني المرحب بالثورات العربية يتجه نحو الانتقائية في نظرته بعد أن وصلت موجة الثورات إلى سوريا، حليف إيران الأول في المنطقة العربية. فقد تحول الترحيب بالحراك السياسي السابق على الساحات التونسية والمصرية والليبية واليمنية إلى شكوك، وظهرت نبرة الإيمان بـ «المؤامرة» عند الحديث عن الأزمة السورية.

من هنا ركزت إيران على الفصل بين جميع أحداث المنطقة العربية والحالة السورية، الأمر الذي رفع مستوى الشكوك حول موقف إيران المبدئي من الثورات العربية.

وعندما وصلت موجة الثورات العربية لسوريا، تحدث المرشد الأعلى في إيران علي خامنئي عن ذلك وزعم أن طبيعة الأوضاع بسوريا تختلف عنها في بقية الدول العربية فتلك الدول، من وجهة نظره «كانت ثورتها ضد أمريكا وضد الصهيونية لكن في سوريا فإن يد أمريكا واضحة وجلية والصهاينة يتبعون هذه القضية، فنحن لا ينبغي أن نخطئ ولا ينبغي أن ننسى هذا المعيار، وأن تلك الثورة هي ثورة شعبية أصيلة قامت ضد أمريكا والصهيونية، وأن هذه الشعارات في سوريا تعد لمصلحة أمريكا وإسرائيل وأنها ثورة مشبوهة. ونحن سنحافظ على هذا المنطق وهذا البيان وهذا التنوير».

٣ - سوريا بعد اتفاق نوفمبر ٢٠١٣

بعد اتفاق نوفمبر ٢٠١٣ المبدئي بين إيران ومجموعة ٥+١ حول الملف النووي الإيراني غيرت إيران «العدسة» التي كانت تنظر من خلالها لطبيعة الأوضاع في سوريا.

تحولت طهران من إلقاء اللوم على «قوى الاستكبار العالمي» والمخططات «الصهيو-

أمريكية» إلى العزف على نغمة «الإرهاب العالمي» التي تتوافق وهواجس القوى العظمى، والولايات المتحدة على وجه الخصوص تجاه الأحداث في المنطقة.

ركزت إيران كثيرا على خطر الجماعات الإرهابية التي تنشط في سوريا والعراق وحاولت أن تعمق مزاعم أن هذا الإرهاب قادم ومدعوم من قبل دول إقليمية كالسعودية وقطر وتركيا، وإن كان التركيز على الأولى هو الأكثر بروزا وتكرارا.

بعبارة أخرى، أصبح مصطلح الإرهاب يتركز على الجماعات المسلحة السنية ولا يفرق إطلاقا بين داعش وجبهة النصرة والجيش السوري الحر وقوات العشائر والبعثيين في العراق وغيرها من الجماعات المسلحة في سوريا والعراق، الأمر الذي يحقق تماما أهداف الجانب الإيراني القائمة على إبقاء نظام الأسد في السلطة واستمرار حكومة مقربة منها وتحت نفوذها في العراق.

ولم يعد هناك أي تركيز على المشروع الصهيو- أمريكي، وتم استبدال ذلك بالعزف على وتر الإرهاب والجماعات الإرهابية وكيل التهم لدول المنطقة بدعم الإرهاب ماليا وعسكريا.

خلاصة القول

قاد وصول لهب هذه النار إلى حليف إيران الأول في المنطقة العربية، النظام السوري، قاد النظام الإيراني إلى اعتماد استراتيجية جديدة تعتمد في المقام الأول على إعادة فرز هذه الثورات وتصنيفها إلى ثورات شعبية (مصر وتونس واليمن وليبيا والبحرين) ومؤامرات صهيو- أمريكية مدبرة (الحالة السورية) أو «فتنة» مدعومة من الخارج (الحركة الخضراء في إيران) تستهدف محور المقاومة والممانعة في وجه الكيان الإسرائيلي.

من جانب آخر، تغيرت، مرة أخرى القراءة الإيرانية للأوضاع في سوريا بعد الاتفاق بين إيران ومجموعة ٥+١ حول الملف النووي الإيراني في نوفمبر ٢٠١٣. هذا التغير لم يمس موقف إيران الداعم للنظام السوري بل اكتفى برفع تهم الوقوف خلف الأزمة السورية عما تطلق عليه طهران «قوى الاستكبار العالمي» وإلقائها على «الإرهاب العالمي».

الدافع الرئيسي للقراءة الإيرانية الجديدة للأوضاع في سوريا والعزف على وتر «الإرهاب العالمي» يعد تكتيكا إيرانيا ثالثا في تعاملها مع ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من متغيرات. وتهدف من وراء هذه الاستراتيجية الجديدة، من جانب، إلى الابتعاد عن نغمة العداء للغرب لتجنب أي توتر قد ينعكس على سير المفاوضات حول البرنامج النووي وما قد ينجم عنه من رفع للعقوبات الغربية المفروضة على طهران وإخراجها من العزلة السياسية التي تعيشها وإنقاذ الاقتصاد المحلي.

ومن جانب آخر، محاولة بناء شراكة جديدة مع القوى الكبرى تحت مظلة الحرب على الإرهاب عبر التسويق لمزاعم أن الإرهاب يستهدف إيران كما يستهدف الغرب، وأنه سيصل إلى أوروبا بشكل عام بعد أن يقضي على الشيعة في المنطقة. هذا الأمر يتكرر حاليا في تعامل إيران مع الانقلاب الحوثي في اليمن ويكرره زعيم الانقلابيين في خطبه ونظرته لبعض المحافظات اليمنية مثل مأرب ومحافظات الجنوب.

لماذا وقفت باكستان على الحياد، وتهافت خطابها

د. أحمد موفق زيدان – موقع المسلم ٢٥/٦/١٤٣٦هـ

أحسن وزير الأوقاف السعودي صالح بن عبد العزيز الشيخ حين سبق لقاءه مع المسؤولين الباكستانيين في إسلام آباد بلقاء الإعلام الباكستاني والفعاليات الدينية والثقافية، فالمعركة اليوم في باكستان وغيرها لم تعد على النخب السياسية التي اختزلت مشهد الحكم لعقود من الزمن، في ظل انتشار فطري لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وانتشار إعلام التواصل الاجتماعي الذي يقود حالياً السياسيين ويفرض عليهم كيف يتعاملون مع الأزمات، يُضاف إليه

رياح التغيير العربي التي ضربت باكستان من زوايا مختلفة..

السؤال الذي يتبادر إلى أذهان الكثيرين لماذا وقفت باكستان على الحياد، وهنا أجدني أغوص قليلاً في التاريخ الذي هو رحم الحاضر فإن قراءته قد تفك بعض الألغاز، تماماً كما قد يفكّ فهم الحاضر مآلاته ومستقبله، فباكستان الحكم وليس الشعب التي كانت الجزء الأهم في الامبراطورية المغولية تميزت بالوقوف على الحياد في الصراع الصفوي - العباسي، ثم الصفوي - العثماني، وأقول باكستان الحكم لأخرج وقوف الجنود الباكستانيين الذين كانوا جزءاً من الجيش البريطاني في حربه ضد الخلافة العثمانية ١٩١٤-١٩١٨، ثم تشكيل النخب الشعبية والدينية حركة الخلافة تأييداً للخلافة، ومن قبلها الدعم المالي السخي الباكستاني لإقامة خط الحجاز الحديدي وغيرها من المشاركات الشعبية التي تعكس تباين الحاكم مع المحكوم.

وتذكر كتب التاريخ أن من ضمن اشتراطات الامبراطور الصفوي على الامبراطور المغولي همايون حين دعم لاسترداد عرشه من شاه سوري كان التزامه بعدم مبايعة الخليفة العثماني و لم يحد عنها لا هو ولا من أتى بعده، ولا بد من الإشارة إلى أن الإمبراطورية المغولية ظلت على مدى تاريخها لقرنين ونصف القرن من الزمن إمبراطورية لا علاقة لها بالدعوة والتمدد العسكري خارج حدودها، ولذا تجدها انعزالية في تعاملها مع العالم الخارجي، وهو الأمر الذي شكل العقلية الباكستانية على ما يبدو، ولا ننسى دور المرأة الإيرانية إذ كان كثير من ملوك المغول متزوجين من فارسيات لعبن أدواراً كبيرة وضخمة في القصر المغولي لصالح الصفويين، يُزاد عليه اللغة الفارسية الرسمية المعتمدة طوال فترة الحكم المغولي للمنطقة.

في العصر الحديث ومع نشوء باكستان كان الرئيس اسكندر ميرزا يحكم باكستان في مطلع الخمسينيات ونظراً لمذهبه الشيعي فقد طلب أن يدفن في إيران، وهو ما عكس علاقة حتى لمن هم في قمة الحكم مع إيران وحتى ما بعد الموت، وكانت زوجة شاه نواز والد ذو الفقار علي بوتو إيرانية، ونفس الأمر اختار ذو الفقار زوجته نصرت بوت الإيرانية الأصل، ويُتردد أن بي نظير بوتو حسب ما أعلنت مواقع إيرانية قبل موتها قد حصلت على الجنسية الإيرانية، كل ذلك لعب دوراً في تعزيز العلاقات بين البلدين..

الحرص الباكستاني منذ اليوم الأول على التوجه نحو جنوب آسيا، وانضمامها إلى الأحلاف التي تخص منطقة جنوب آسيا كان تعزيزاً لتوجه الابتعاد عن المنطقة العربية وابتعاداً نفسياً وجيوسياسياً عن هموم المنطقة العربية، وحين وقفت باكستان إلى جانب القضايا العربية فقد كان لأسبابها الخاصة، وليس كموقف يتسق مع العقلية والجيوبولتيك الباكستاني الذي حكمها لعقود، وهذه الأسباب إما لأنه يتسق مع الموقف والسياسة الأميركية كما هو الحال في أحداث أيلول بالأردن ١٩٧٠، أو في حرب الخليج ١٩٩١، ولكن بدا التباين بوضوح في الثورة السورية حين أبقت على السفارة السورية بإسلام آباد والتزمت الخط الإيراني في المواقف تجاه الثورة السورية، وتوجته بزيارة رسمية لمجلس الشيوخ الباكستاني للقاء طاغية الشام بشار أسد، وذلك بعد أن نال الوفد بركات زيارة القيادة الإيرانية، وبعد الشام زار الوفد العراق أيضاً، وأتبعت باكستان مواقفها المنحازة فعلياً لإيران بالموقف من اليمن وهو موقف الحياد المعلن، والحياد هنا يعني أقرب إلى الموقف الإيراني منه للموقف الخليجي، فإيران لا تريد أكثر من أن تتم معادلة المتمرد الحوثي بالرئيس الشرعي عبد ربه منصور هادي..

استثمرت طهران خلال السنوات الماضية وبقوة في الإعلام والنخب الثقافية، ومن لم توقعه إيران في بازارها بخطابها الطائفي الشيعي، أوقعته بخطابها الأقلوي الداعي إلى حماية الأقليات وهو

خطاب يروق لكثير من النخب العلمانية المتكلسة والمحنطة على الطريقة الغربية، ومن أراد خطاب الأمة المسلمة والوحدة الإسلامية وفلسطين والاستكبار العالمي فله ذلك، وعليه فقد غزت طهران بشكل قوي الإعلام الباكستاني وتمكنت من السيطرة عليه بشكل غير مسبوق وهو ما قد يهدد الدولة الباكستانية في لحظة هي بحاجة إليه فإن عجز الجيش الباكستاني على مواجهة مؤسسة إعلامية واحدة قبل سنة، وهي (جيو)، فكيف سيتعامل في لحظة ما مع إعلام مسيطر عليه تماماً من قبل إيران وقد يصدق عليه ما كان يخاطب به الرئيس اللبناني شارل الحلو الصحافيين اللبنانيين حين يلتقيهم:» أهلا بكم في موطنكم الثاني لبنان».

أدركت طهران قوة الإعلام وتأثيره الناعم، فهو أقل كلفة من شراء ذمم سياسيين يطالبون بأرقام فلكية مقارنة باستحقاقات إعلامية لا توازي الاستحقاقات السياسية، بينما واصلت الدول العربية سيراً على القاعدة القديمة في الاستثمار بالسياسيين الذين يتلونون حسب الطلب كما حصل في دول عربية أخرى، وحين تطلبهم عند حاجة الصديق لهم فلا تجدهم، وقد يكونون في الصف الآخر، وكان وقوف كثير من الجماعات الإسلامية الباكستانية المصنفة إرهابياً إلى جانب اليمن والسعودية لافتاً بينما توارى السياسيون خلف الكلام المعسول الذي لا يسمن ولا يغني من جوع في عصر الجوع للأصدقاء والحلفاء..

الآن لو بدأنا بتفكيك الخطاب الباكستاني وباختصار فإنه يدعو للحياد، وهذا يعني مساواة القاتل بالمقتول والمغتصب بكسر الصاد مع المغتصب بفتح الصاد، وبالتالي فهل نستطيع بناءً على هذه السياسة أن نقف على الحياد في قتال باكستان لمقاتلي طالبان أو متمردي البلوش وندعوها للحوار بشكل متساو بينها وبين هؤلاء المتمردين طبعاً ليس قبل أن يحتلوا إسلام آباد ويفككوا الجيش وأجهزة الدولة ويعيثوا فساداً أسوة بالحوثيين..

الفقرة الثانية في الخطاب الباكستاني قوله لو تعرضت أراضي المملكة للتهديد، وهل هناك تهديد أعظم من وجود عملاء إيران على حدود المملكة في خاصرتها الرخوة، وأكثر من ١٥ رحلة بين طهران وصنعاء الحوثيين، والبوارج الإيرانية تقترب من المياه السعودية، فهل هذا يعني أن وجود الهند وعملائها يحكمون ويسيطرون بالكامل على الجبهة الغربية لباكستان في خوست وجلال آباد وقندهار وكونار لا يُعتبر تهديداً، فلماذا قامت باكستان ولم تقعد لمجرد فتح قنصليات في هذه المدن؟

أخيراً تجريد الحليف من حليفه، كما حصل مع باكستان، هو خسارة لها، التي لم تجد منذ قيامها يوماً واحداً موقفاً إيرانياً إلى جانبها، وهي تدرك ذلك تماماً، وعلى باكستان ألا تنسى أنها تضحي بأربعة ملايين باكستاني مقيمين في الخليج ويوفرون لها أكثر من ١٥ مليار دولار كتحويلات سنوياً، بينما يعرف القاصي والداني أن لا عمالة باكستانية في إيران ولا تحويلات ولا هم يحزنون إلا إذا كانت تحويلات من نوع آخر يعرفها صناع القرار ربما ....

هل إيران في حالة استنزاف في العالم العربي؟

علي حسين باكير – السورية نت ٢٠١٥/٣/٢٣

يستطيع المتابع لما تنشره الصحافة العربية مؤخراً أن يلاحظ تزايداً في عدد المقالات التي تنشر عن إيران، والتي وصلت ربما إلى مستوى قياسي لم تكن قد وصلته من قبل على الإطلاق. بعض المقالات التي كتبت من قبل باحثين أو محللين تشير إلى أنّ هذا الوضع استثنائي وأنّ التوسّع الإيراني غير المسبوق في العالم العربي هو بحد ذاته بداية نهاية هذا الانتشار على اعتبار أنّه يضغط على موارد إيران الذاتية ويؤدي إلى استنزافها ولا يخدم في المحصلة النهائية الاستراتيجية الكبرى لنظام الملالي.

هــذا التــشخيص أو التحليــل وإن حمــل معــه بعـض الـصحّة، إلا أنّـه «لـيس دقيقـاً كفايـة»، كمـا أنّ بعـض الـدول العربيـة تحـاول أيـضاً الاسـتفادة منـه في تبريـر حالـة التقـاعس والاسـترخاء الـتي تمـر بهـا علـى اعتبـار أن إيـران ستخـسر في النهايـة في جميـع الأحـوال وأنّـه لـيس هنـاك مـن داعٍ لفعـل شـيء طالمـا أنّ الأمر كذلك.

إيــران ليــست في حالــة اســتنزاف في العــالم العربــي. نعــم هنــاك تكــاليف تــدفعها طهــران نتيجـة هـذا التمـدد، وهنـاك خـسائر أيـضاً تتحملـها، ولكـــن هـــذا أمـــر طبيعـــي لأي دولـــة تريـــد فـــرض هيمنتهـا وسـيطرتها وتعمـل علـى توسـيع نطـاق حـدودها واحـتلال الـدول الأخـرى. المـراد قولـه هنـا هـو إنّ هـذا الطـــرح شـــيء، والاســـتنزاف الـــذي يتطلـــب وجـــود سياسـة ووجـود مـن يقـود هـذه الـسياسة الاسـتنزافية ويوجهها ضد إيران شيء آخر تماماً.

الـذين يقولـون إن إيـران هـي في حالـة اسـتنزاف في العــالم العربــي، يــشيرون في الغالــب إلى أنّ مــن مظــاهر هــذا الاســتنزاف الإنفــاق المــالي الكــبير، والاسـتدراج العـسكري الأكـبر، والتمـدد الـذي يفـوق قـدرات إيـــران علـــى التحمـــل، وإنّ هـــذا يـــنعكس بالـضرورة بـشكل سـلبي علـى الوضـع الـداخلي في إيـــران ولا يـــؤدي في النهايـــة إلى خدمـــة المـــصلحة الإيرانية.

الحقيقــة أنّ التكــاليف الماليــة الــتي تــدفعها إيــران والــتي أدّت في المحــصلّة إلى هــذا التوسّــع تكـاد تكـون تافهـة مقارنـة بقـدرات إيـران الماليـة أو مقارنـة بالنتـائج المحققـة أو حتـى مقارنـة بمـا يدفعـه بعـض العـرب في مجـالات عبثيـة ولا يكـون لـه أي مردود مالي أو سياسي أو عسكري أو حتى معنوي.

الميليــشيات الــتي تموّلهــا إيــران لا تتعــدى تكـاليف دعـم الواحـدة منهـا مئـات الملايـين مـن الـدولارات سـنوياً، ومـع ذلـك فـإن العائـد الجيـو-سياســي والجيــو- اســتراتيجي المتــأتي عنهــا هائــل جــداً. انظــروا إلى حــزب الله في لبنــان علــى ســبيل المثـال. هـذا الحـزب هـو الحـاكم في لبنـان منـذ ١٥ سـنة علـى الأقـل، ويمكـن اسـتخدامه لتوجيـه سياسـة دولـة بأكملـها لخدمـة مـصالح إيـران علـى الـصعيد الإقليمـي أو الـدولي وفي جميـع المحافـل، ويمكـن اسـتخدامه أيـضاً لعرقلـة سياسـة دولـة، أو كرافعـة للمـصالح الإيرانيـة في المفاوضـات الإقليميـة والدوليـة، ويمكـن اسـتخدامه للابتـزاز، ولـيس هـذا فقـط بـل يرسـل جنـوده إلى سـوريا والعـراق والـيمن ومنـاطق أخرى حول العالم بما يخدم الأجندة الإيرانية.

أمّـا في سـوريا، فمـن الـصحيح بمكـان القـول إنّ إيـران دفعـت المليـارات، لكـن محـصلّة هـذا الـدعم المـالي والعـسكري أنهـا نجحـت في الإبقـاء علـى رجلـها هنـاك حتـى الآن، لا بـل إنّهـا اسـتطاعت بنـاء شـبكات مـن الميليـشيات والأحـزاب علـى غـرار حـزب الله تـضمن لهـا النفـوذ هنـاك لـسنوات قادمـة حتـى مـع انهيـار نظـام الأسـد. وبالمناسـبة فـإن جـزءاً كـبيراً مـن تمويـل الـدعم الـذي ذهــب إلى الأســد لم يــأت مــن خــزائن إيــران الرسميـة، وإنمـا مـن العـراق الـذي يـسطر عليـه نظـام الملالي أيضاً.

اسـتطاعت إيـران مـن خـلال سـيطرتها علـى العـراق الحـصول علـى مليـارات الـدولارات سـواءً عـن طريـق الـصفقات التجاريـة أو عـن طريـق اسـتخدام البلـد لتبيـيض الأمـوال أو لكـسر العقوبـات الدوليـة. بعـض التقـارير ذكـرت مـؤخراً أنّ بعـض الـشركات في الجنـوب تبيـع الـنفط لـصالح إيـران، ناهيـك عـن الأسـلحة «الخـردة» الـتي باعتهـا طهـران لبغـداد مـؤخراً - في خـرق واضـح لنظـام العقوبـات الدوليـة عليهـا- وتبلغ قيمة هذه الصفقة لوحدها ١٠ مليار دولار.

ولا بـد أنّ نـشير هنـا إلى أنّ طهـران نجحـت في الحفــاظ علــى دعمهــا لــ«حلفائهــا» إن صـح التعـبير رغــم نظــام العقوبــات المفــروض عليهــا، فكيــف ســيكون وضــعها إذا أزيلــت هــذه العقوبــات تــدريجياً كنتيجـة للـصفقة النوويـة المحتملـة؟ هـل هـذا الوضـع

يشير بأي حال من الأحوال إلى حالة استنزاف؟

أمّا على الصعيد العسكري، فلا شك أنّها تفقد بعض جنرالاتها وجنودها، لكنّ العماد الأكبر لجيشها الخارجي الجرار المكون من عشرات الميلشيات الطائفية هو من أبناء هذه البلدان التي تتواجد فيها الآن، وهؤلاء محسوبون على إيران بقدر ما يخدمون أجندتها وفي اللحظة التي يموتون فيها أو يفنون لن تكون هي قد خسرت شيئاً من رصيدها الذي هو جيشها النظامي أو حرسها الثوري. الذي يتم استنزافه حقيقة هو هذه البلدان العربية التي يتواجد فيها الإيرانيون، إذ تقوم طهران باستنزافهم مالياً واقتصادياً وأمنياً وعسكرياً واجتماعياً وتدمر البنية التحتية لما بقي من الدولة هناك بشكل يجعل هذه الدول غير قادرة على النهوض من جديد وبالتالي الاستفادة منها كحزام للدفاع عن الأمن القومي الإيراني و/أو لتحقيق أجندة التوسّع الإيرانية في المنطقة.

وعليه، فحتى لو افترضنا جدلاً بأنّ كل الاستثمار الإيراني في مشروعها الإقليمي من لبنان إلى اليمن ذهب أدراج الرياح، يكفيها أن تحافظ على حالة الشلل أو التعطيل أو الدمار في هذه البلدان، لكي تقول إنها ربحت، لأن هذا يخدم في النهاية أجندتها التفتيتية والتوسعية في المنطقة، خاصة أنها الأقدر على إدارة مصالحها في أجواء الفوضى الإقليمية نظراً للأدوات غير التقليدية التي تمتلكها وتخولها تحقيق ذلك.

من يعتبر أنّ إيران هي في حالة استنزاف في العالم العربي عليه أن يعي أنّ الاستنزاف ليس حالة عشوائية تحصل من ذاتها بذاتها لذاتها، وإنما هي استراتيجية عسكرية وسياسة مدروسة وموجهة وتتطلب ممن يخوضها أن يكون في حالة حرب. لا يعني ذلك أنّه يجب أن يعلن أنّه في حالة حرب مع إيران، ولكن من الممكن اتخاذ خطوات تدل على هذا التوجه من دون إعلان.

والحقيقة أنّه ليس هناك ما يشير إلى أنّ أي من الدول العربية تعتبر نفسها في حالة حرب مع إيران. لقد تم الإعلان عن حروب كثيرة مؤخراً، الحرب على الثورات العربية، الحرب على الأخوان، الحرب على تركيا، الحرب على الجماعات المسلحة «داعش والقاعدة»، حرب الدول العربية على بعضها بعضاً، لكن ليس هناك من بين هذه الحروب حرب على إيران.

أضف إلى ذلك أنّ الاستنزاف يعتمد على الهجوم وليس على الدفاع، وهو في غالب الأحيان هجوم دفاعي. صحيح أن إيران في حالة هجوم مثالية في العالم العربي لتطبيق حرب استنزاف ضدها، لكن ليس هناك هجوم دفاعي ضدّها آو ضد قواتها، وفي حال وجدت فهي عشوائية وغير منظمة وليس بناءً على سياسة وليس هناك من يوجه هذا الجهد آو هذه السياسة ضدها، وإنما هي مجرد رد فعل من بعض الجماعات المسلّحة غير التابعة لأي أحد.

الدول العربية ومعها دول إقليمية أخرى كتركيا هي في حالة دفاع سلبي منذ سنوات في المنطقة، هذا الوضع قد يصعّب من مهمة الخصم المهاجم من تسجيل الأهداف، لكنّه لا يخوّل هذه الدول تسجيل أي هدف على الإطلاق، ولذلك فإن اللاعب الإيراني يستمر في تسجيل النقاط والأهداف في مرمى العرب والأتراك منذ سنوات.

الفكرة الأساسية من سياسة الاستنزاف هي أن يتمّ جعل تكاليف الخصم أعلى من قدرته على الاحتمال، وأن يتم توسيع المعارك ضده في ساحات مختلفة لينزف عسكرياً، سياسياً، اقتصادياً، أمنياً، وعندها فقط يتراجع وينهار مخططه. إذا كانت هذه الدول غير مستعدة أو غير قادرة أو لا تريد مواجهة مباشرة مع إيران لوضع حد لها ولمخططها، فما عليها إلا أنّ تتّبع سياسة استنزاف مدروسة ضد إيران، وما عدا ذلك هو كلام لا قيمة له.

بعضهم قد يسأل، وهل من الممكن لطرف ما أن يستنزف نفسه؟ بمعنى آخر هل ممكن لإيران أن تستنزف نفسها بنفسها؟ نعم هذا ممكن عبر اتخاذ قرارات خاطئة ينجم عنها كوارث تضعفها وترفع تكاليفها، لكنّ الجلوس والمشاهدة والانتظار إلى أن يتم ذلك، كمن ينتظر أن يربح في السحب دون أن يشتري البطاقة!، ناهيك عن أنها مسألة لا يمكن التحكم بها وتوجيه مسارها والاستفادة من نتائجها طالما أنّها ليست سياسة موجّهة ضد إيران، وقد تأخذ وقتاً طويلاً وستؤدي في جميع الأحوال إلى استنزاف العرب قبل غيرهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً كما يحصل الآن.

فتنة داعش وفتنة الدجال

مجاهد ديرانية – صفحته على الفيس بوك ٢٠١٥/٤/١١

قال لي أخ عزيز: انظر كم حذّرتَ من داعش أنت وغيرك من أهل الفضل والعلم، ثم انظر إلى عدد المخدوعين بها والمضلَّلين. ليس في سوريا وحدَها، بل في العالم الإسلامي كله. فإلى متى تصبرون وتحذّرون؟ ألا تيأسون؟

أقول له ولكل من يسأل هذا السؤال: نحن علينا واجبٌ محدّد ولا يطالبنا الله بأكثرَ مما نطيق: علينا أن نبيّن الحق وأن نجهر به وأن نجادل عنه بأفضل أسلوب ممكن، وهذا داخل في عموم قوله تبارك وتعالى: ﴿ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهم بالتي هي أحسن﴾.

وما تتمة الآية؟ إن الناس يَتْلون أولها وينسون آخرها: ﴿إنّ ربك هو أعلمُ بمَن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. لن يستجيب لنا الجميع بالتأكيد، لكنْ ربما وصلت كلماتُنا إلى قلوب بعض الناس فتأثروا بها، وهذا يرفع عنا الحساب يومَ الحساب ويعذرنا أمام الله.

إننا نعيش هذه الأيام في امتحان عسير سقط فيه كثيرون، حتى من الأكابر، ولكني لا أستغرب، لأن لكل عصر فتنته، حتى نصل إلى فتنة الدجال. هل كل الضالين من أتباع الدجال كانوا من الأشرار السيّئين؟ قطعاً لا، لا بد أن فيهم من كانوا من أهل العبادة والصلاح، ولكنهم مغفلون ساذجون يتبعون الهوى ويتصامّون عن تذكير الدعاة والعلماء، فينجح الدجال في استلاب عقولهم بغير عناء.

في حديث ابن عمر في الخوارج الذي رواه ابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «ينشأ نَشْءٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيَهم، كلما خرج قرنٌ قُطِع (قال ابن عمر: كررها - أي قوله كلما خرج قرن قطع- أكثرَ من عشرين مرة) حتى يخرج في عِراضهم الدجال». والعِراض جمع عَرْض، وهو الجيش العظيم كما قال السندي في الشرح.

نحن لم نشهد بعدُ فتنةَ الدجال، أسأل الله أن يثبّتنا إذا شهدناها وأن ينجّينا من السقوط فيها، ولكني أكاد لا أشك أننا نشهد اليوم مع داعش «فتنة الدجال الصغرى»، وهي عيّنة تُرينا كيف يسقط المؤمنون في فتنة الدجال الكبرى فيَغْدون كافرين، وتجيب عن سؤال طالما طرحه مَن قرأ أخبار الدجال: كيف يتبعه كل أولئك الناس؟ أما لهم عقول؟

هذا هو الجواب حاضرٌ أمام أعيننا. بلى، لهم عقول ولكنهم أماتوها باتّباع الهوى، فاجترؤوا غيرَ هيّابين على الجريمة الكبرى: اغتيال المجاهدين وقتل المصلّين وسفك الدم الحرام.

اللهم اجعلنا هادين مَهديين غير ضالّين ولا مُضلّين، سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك. اللهم اهدنا واهدِ بنا ولا تُزِلّ أقدامنا في الفِتَن العمياء.

لماذا أقر مجلس الأمن المقترح الخليجي بشأن اليمن؟

د. محمد السعيدي – موقعه الشخصي ٢٠١٥/٤/١٥

كثيرون يتساءلون عن سر موافقة مجلس الأمن على مشروع القرار الخليجي وفي التغريدات التالية سأحاول الإجابة.

كل دولة على حدة من دول الخليج والدول التي تضامنت معها تملك أوراق ضغط مختلفة على كل دولة من الدول الخمس على حدة أيضا.

من هذه الأوراق ما هو اقتصادي بأنواعه وهو الأقوى والاكثر فاعلية ومنها ما هو جغرافي ومنها ماهو قانوني ومنها ما هو استخباري.

هذه الأوراق كانت معطلة عن الاستخدام أو كانت تُستخدم بشكل منفرد أي تستخدم كل دولة بعض ما لديها على حدة فكان الفشل مصيرها.

في هذا المشهد التاريخي استخدمت دول الخليج والدول المؤيدة لها أوراقها مجتمعة فكانت العامل الأهم في استصدار القرار٢٢١٦ تحت الفصل السابع.

عامل ثاني مهم أيضا: أن هذه الدول تطلب إصدار القرار والكلمة العليا في الميدان لها وكانت طلبته بعد اجتياح صنعاء فرفض لأن الكلمة في الميدان لإيران.

عامل ثالث: متعلق بالأول وهو استخدام أسلوب المقايضة وهو أسلوب إلى حد كبير جديد على الدول العربية التي بغلب على أكثرها منذ السبعينات الهجرية أسلوب الإعطاء دون مقابل.

عامل رابع: أن الدول الكبرى بينها تناقض في المصالح والأهداف وبمقدار اللعب على هذه التناقضات تستطيع أن تستفيد وهذا هو دفع الله الناس بعضهم ببعض.

عامل خامس: انكشاف زيف دعاوى الآلة الإعلامية والسياسية الإيرانية أمام الغرب إذ كشفت عاصفةالحزم أن الصورة التي رسموها لإيران مبالغ فيها.

كشفت عاصفةالحزم أن إيران أقل من القدرة على الدور الذي كانت أمريكا وروسيا تعدانها له فرأوا أن مجاملتها في هذا الظرف ليس قراراً صائبا.

هناك أناس قللوا من قيمة هذا القرار لأنهم لا يعرفون إلا كل شيء أو لا شيء وهؤلاء كتب الله عليهم البؤس فلا يفرحون بشيء ويعملون ضد كل شيء.

حتى الدول دائمة العضوية والتي مر هذا القرار بموافقتها ستعمل من الآن على عدم إعطاء دول الخليج ومن وقف معها فرصة لتكرار هذا النجاح مرة أخرى.

ما مر آنفاً يعني أن على دول الخليج ومن معها إن تكرار هذا النصر فعليهم التحسب منذ الليلة لشتى المكائد والإبقاء وبقوة على جميع العوامل التي ساعدتهم على النجاح.

العامل الأساس في هذا النصر هو اجتماع الملمة تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ وقوله ﷺ (يد الله مع الجماعة).

وقال الشاعر:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى

خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا

وإذا افترقن تكسرت أفرادا.

بعد سليماني... توغل قيادي جديد من الحرس الثوري في العالم العربي "حسيني" عمل انطلاقا من القاهرة وزار اليمن والسودان وليبيا وسيناء... وتواصل مع إسرائيل

عبد الستار حتيتة– الشرق الأوسط ٢٠١٥/٤/٩

تثير معلومات عن قيادي غامض في الحرس الثوري الإيراني يدعي «سيد حسيني» مزيدا من المخاوف من سياسات طهران بالمنطقة. عمل «حسيني» البالغ من العمر نحو ٥٧ عاما انطلاقا من القاهرة لعدة سنوات، وزار اليمن والسودان وليبيا وسيناء.. وتواصل مع إسرائيل، وفقا لإفادات من مصادر أمنية من مصر وليبيا.

وتفتح تفاصيل جديدة عن قصة الرجل الذي جرى التعامل معه في البداية كـ«جاسوس في عباءة دبلوماسي»، شهية بعض القادة الساهرين على ضفاف النيل للتساؤل عما إذا كانت إيران فارسية أم شيعية أم بين هذا وذاك.

«حسيني» رجل خمري البشرة بشعر فاحم ولحية خشنة، يبدو خير مثال لحالة الارتباك هذه. وبينما تبثُّ شاشات التلفزيون الفوضى العارمة التي تمر بها المنطقة العربية، يجري فتح ملفات الإيرانيين الذين كانوا مثارا للشبهات في السنوات الأخيرة. يقول ضابط مصري إن بلاده رصدت نشاطا عابرا للحدود للحرس الثوري الإيراني يقوده «حسيني». بعد أن قام المصريون بطرده في صيف ٢٠١١ اكتشف مراقبون أمنيون أن المنطقة تعج بأكثر من عشرين «حسيني» آخرين يعملون بدأب على نشر الفوضى، من العراق لليمن لليبيا، وحتى سيناء.

في عوامة ترسو على الضفة الأخرى من شاطئ ماسبيرو في القاهرة، يتابع عدد من الدبلوماسيين، في سهرة الخميس، الحروب المشتعلة في بلدان عربية. يتعجب أحدهم من أن إيران أصبحت قاسما مشتركا في معظمها. حتى الماضي القريب كان بعض القادة ينظر لإيران كدولة نصيرة لقضايا العرب في مواجهة إسرائيل.

اليوم الأمر يبدو مختلفا بالنظر إلى ما يتكشف من نشاط إيراني محموم يتماس مع تداعيات ما يعرف بـ«الربيع العربي». كان «حسيني» نفسه، بصفته قائدا في الحرس الثوري الإيراني، ضالعا في مثل هذه الأمور. استمر من جاءوا من بعده في ممارسة نفس السياسات «لكن بنهم أكبر وحرص شديد.. لدرجة أنك لن ترى إلا آثارهم»، وفقا للمصادر.

اليوم.. وبينما تتسرب معلومات جديدة عن زيارات هذا الرجل المريبة لسيناء، واتصالاته السرية التي استمرت حتى بعد إبعاده عن مصر، أصبح في الإمكان الاستماع لنظريات تذهب إلى القول بأن الأهداف الإيرانية تلتقي مع أهداف إسرائيل في تفتيت الدول العربية وتدمير قدرات الجيوش التي يمكن أن تتسبب في قلق لطهران أو تل أبيب في المستقبل.. «انظر لوضع العراق.. طائفية مدمرة. انظر لسوريا. لم تعد هناك دولة».

مثل هذا الحديث لم يكن مطروحا بكل هذا الوضوح من قبل. تسربت معلومات جديدة عن «حسيني» على نطاق ضيق، لكنها أصبحت محل اهتمام في بعض الأوساط المصرية الرفيعة على خلفيات عدة، منها عملية «عاصفة الحزم» ضد المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران، ومنها القلاقل الأمنية في سيناء وليبيا والتغلغل في العراق وسوريا.

يقول أحد القادة الأمنيين إن المخطط الذي يهدف لاقتطاع جزء من الأرض المصرية لصالح إقامة وطن للفلسطينيين في سيناء، تقف وراءه

إسرائيل وأميركا وإيران، وأنه جرى التقاط الخيط الخاص بنشاط «حسيني» أثناء زياراته المتكررة لمناطق حساسة منها سيناء.

مع هذا لم يجرِ التأكد من أهمية الرجل، وأنه «ليس مجرد جاسوس»، إلا حينما انتقل فجأة إلى لبنان في عام ٢٠١٠، وقيامه باتصالات مع حاخامات من أصول إيرانية لتسهيل وصول الرئيس أحمدي نجاد لأقرب نقطة من الحدود اللبنانية الإسرائيلية.

حطَّ «حسيني» أولا في دمشق ضمن خلية عمل يقودها العسكري الإيراني، قاسم سليماني، قائد «فيلق القدس» التابع للحرس الثوري. ثم انتقل الفريق للبنان في ضيافة حسن نصر الله زعيم حزب الله، ومن هناك انتقل مع موكب نجاد تحت حراسة من حزب الله والحرس الثوري إلى جنوب لبنان.

يتميز «حسيني» بالبساطة والبشاشة. هو شخصية ودودة يقابلك مثل أخ بابتسامة عريضة وكلمات عربية لكن بمخارج حروف متأثرة باللغة الفارسية. عمل بالقرب من «سليماني» قبل انتقاله للقاهرة.

تولى الإشراف على تجنيد عملاء فاعلين من مصر ودول مجاورة، إلى جانب متابعته لبعض الشؤون الأمنية الخاصة بإيران في المنطقة.

كان أول ظهور له بالقاهرة في فترة الانتخابات الرئاسية التي فاز فيها الرئيس الأسبق حسني مبارك في عام ٢٠٠٥. «جاء في البداية كمن يريد الاكتفاء بقراءة المشهد.. لكن تحركاته اتسعت. كان ينفذ خطة، وبدأ بعد أشهر في السفر لبورسودان وسيناء، وهما منطقتان ضعيفتان أمنيا وينشط فيهما متطرفون ومهربون وتجار أسلحة منذ سنوات».

وفقا لمصادر عملت بالقرب من «حسيني» فإنه يتخذ من «سليماني» مثالا له في الصرامة والتعصب الفارسي والإخلاص للمرشد علي خامنئي. يذكر ذلك عادة في جلساته الخاصة.. «أحيانا يتحدث بفخر عن تنفيذه لعدة سنوات خطة نشر شعارات في أوساط شبان شيعة بالعراق واليمن ولبنان، تدعو لقتال إسرائيل». يرد على المختلفين معه ممن يؤمنون بالقومية العربية أو الفكر اليساري: «كلنا شركاء على مبدأ واحد؛ محاربة الصهيونية».

يقول مصدر أمني كان ضمن حلقة تراقب تحركات «حسيني» بالمنطقة إنه كان يقدم لكل فئة ما تطمح إليه. يستضيف أحد الإعلاميين في مطعم، ويتحدث معه عن رغبة إيران في تأسيس دار نشر وصحيفة ناطقة باللغة العربية من القاهرة. إذا استضاف رجل أعمال فتح معه إمكانية تقديم تسهيلات لاستيراد ما يشاء من إيران.. فستق، سجاد، معدات صناعية. وهكذا.. «ثم يختفي لنكتشف أنه يقيم في فندق في مدينة أسوان (جنوب) ويلتقي بشخصيات من ليبيا واليمن والسودان».

تأسس فيلق القدس المتهم بتنفيذ عمليات إرهابية في دول عربية منها العراق وسوريا، بعد الهزائم التي تعرض لها الجيش الإيراني في حرب الخليج الأولى مع العراق في ثمانينات القرن الماضي.

هذا الفيلق هو وحدة «قوات خاصة» للحرس الثوري، مسؤولة عن العمليات خارج الحدود الإيرانية. وأشرف على تدريب شيعة من دول عربية منها اليمن، تحت شعار محاربة قوى الاستكبار المقصود بها أميركا وإسرائيل.

مع تزايد التدخل الإيراني في المنطقة العربية أصبح العديد من المراقبين يعيدون النظر في سياسات طهران العابرة للحدود. يراقب العميد عادل العمدة، المستشار بأكاديمية ناصر العسكرية بالقاهرة، هذه التطورات، ويقول لـ«الشرق الأوسط» إن ما يظهر على السطح من

الخطاب الشيعي الإيراني «هو استغلال للبسطاء، مثل تلك المقولات التي يرفعها الحوثيون في اليمن كالموت لأميركا والموت لإسرائيل واللعنة على اليهود».

ويضيف أن «أهداف إيران تتلاقى مع مصالح أميركا وإسرائيل، بينما هؤلاء الشبان العرب البسطاء في اليمن وغير اليمن يتناولون هذا الكلام دون دراية بما يدور في الخفاء.. اليوم أصبح لدينا يقين أن إيران تنشر العملاء وتعمل بشكل سافر أكثر من أي وقت مضى».

كان لـ«حسيني» مساعدون يتحركون في المنطقة بجوازات سفر أوروبية ومن أميركا اللاتينية. جرى منع بعض من هؤلاء من المرور من مطار عمان الدولي حين حاولوا دخول الأردن في أعوام ٢٠٠٩ و٢٠١٠ و٢٠١٣، وفقا لإفادات من مصادر أمنية. يكشف ضابط ليبي كان يعمل في مخابرات معمر القذافي أن «حسيني كان مرصودا في مصر وفي ليبيا.. كنا نعلم أن له علاقات واسعة مع متطرفين في شرق ليبيا وفي سيناء وشرق السودان. كان يزور مناطق في اليمن أيضا».

ويضيف أن أحد مساعديه التقى مع شيخ يدعى «فرج» وهو مصري من أصول ليبية. أصبح فيما بعد نائبا في البرلمان في عهد حكم الإخوان، ورغم أن هذا الشيخ «سُنِّي متشدد»، فإنه كان يطالب، مثل الإخوان، بفتح أبواب مصر للإيرانيين.

رفض هذا النائب، عبر وسيط، الإدلاء لـ«الشرق الأوسط» بأي تعليق حول ما تردد عن لقاءاته السابقة مع أجانب وعرب قرب الحدود المصرية الليبية في بداية شهر فبراير (شباط) ٢٠١١، بينهم فرنسي من أصل إيراني وخليجي وأميركي.

تقول تفاصيل تخص هذه الواقعة إن هذا الخليط من الشخصيات أسهم في ترتيب نقل حاويات إلى داخل ليبيا، كانت قادمة من آسيا عبر إيران، وجرى إنزالها في ميناء دمياط على البحر المتوسط، لحساب مكتب للاستيراد والتصدير يديره في مدينة دمياط مصري يدعى «شعيب». و«جرى استخدام المكتب كغطاء لنقل حاويات تحمل أجهزة اتصالات متقدمة ومناظير للرؤية الليلية ومئات الألوف من أعلام الثورة الليبية قبل انطلاقها بعدة أيام».

استغلَّ هؤلاء الفوضى بمصر في ذلك الوقت. جرى نقل الحاويات عبر شاحنات من دمياط إلى مخازن رجل يدعى «عمر» قرب حدود ليبيا. كانت الشخصيات الأجنبية بمن فيهم الفرنسي والأميركي يتعاملون مع الشيخ «فرج» قبل أن يصبح نائبا في البرلمان، باعتباره الوالي المقبل لـ«ولاية مطروح الإسلامية». يقول أحد رجال الدين في محافظة مطروح إن الخطة كانت تسعى لتقسيم مصر وليبيا إلى ولايات تحت قيادة الإخوان بعد توليهم حكم البلاد.

يكشف مصدر أمني مصري أن طريقة التعامل مع «حسيني» كانت تتضمن رسالة من القاهرة لطهران بأن التلاعب في المنطقة غير مسموح به. جرى أولا القبض على الرجل حين كان يترجل بعيدا عن سيارته في شمال القاهرة. يقول: «كان يقيم بمصر تحت صفة دبلوماسي.. الأمن كان يعلم أن معه حصانة الدبلوماسي ولا يجوز القبض عليه هكذا». ماذا حدث؟ يجيب: «أخذه الضباط من الشارع ووضعوه قيد الاحتجاز.. وبعد ذلك قالوا هل هو دبلوماسي حقا؟ لم نكن نعلم بذلك».

ومنذ ذلك الوقت تقرر طرده كشخص غير مرغوب فيه.

يضع أحد السفراء علامات استفهام حول الطريقة المثلى للتعامل مع إيران. لم يمض زمن طويل بعد على تلك المقترحات التي كانت تخرج من بعض مسؤولي جامعة الدول العربية عن ضرورة التحالف العربي مع إيران. حسنا. يتذكر هذا السفير الذي

يعمل بالجامعة طِيب النوايا في السنوات الماضية. ويقول اليوم: «إيران تتعامل مع العرب بأكثر من وجه».

يشير البعض إلى أن محاولات الرئيسين السابقين، حسني مبارك، ثم محمد مرسي، للتقارب مع إيران باءت كلها بالفشل. ويتبنى تقرير أمني اطلعت «الشرق الأوسط» على جانب منه معارضة إقامة علاقة مع حكام هذه الدولة «لأن كلا منهم يُظهر عكس ما يُبطن.. يثيرون القلاقل».

يقول أحد القادة الأمنيين إن «سليماني» لديه اليوم عدد كبير من المساعدين المنتشرين في غالبية الدول العربية. ويضيف: «يوجد العشرات مثل حسيني. بعد طرده، استبدله به سليماني آخرين يعملون على مدار الساعة».

اسم «حسيني» اختفى تماما من القاهرة منذ مايو (أيار) ٢٠١١، لكن أسماء جديدة ظهرت في أكثر من موضع وتعمل بنفس الطريقة القديمة. تقديم الهدايا البسيطة من الزعفران والفستق، مع وعود بتحقيق الطموحات التي تبدأ من تأسيس دور النشر وتسهيل الصفقات التجارية حتى قلب أنظمة الحكم.

وفقا لمعلومات من مصادر استخباراتية، خلف «حسيني» في متابعة النشاط الإيراني في بورسودان رجل يدعى «نابخت» أو «ناكبخت». أشرف في عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤ على عملية إنزال شحنات أسلحة من سفن إيرانية في الميناء. يعتقد أن هذه الأسلحة جرى نقلها فيما بعد في مراكب صغيرة إلى الشواطئ اليمنية التي يسيطر عليها الحوثيون.

يوجد اسم آخر يدعى «نوري» خلف «حسيني» أيضا في مواصلة المراقبة للوضع داخل ليبيا، لكن انطلاقا من داخل الأراضي الليبية هذه المرة، وليس من حدود مصر الغربية كما كان يفعل مساعدو «الدبلوماسي الجاسوس».

يعمل «نوري» حاليا تحت حماية مجموعة مذهبية في الجبل الغربي لطرابلس الغرب تعتنق المذهب الإباضي، وتقول المعلومات إن نشاط «نوري» بدأ أولا في المنطقة الشرقية من ليبيا خلال عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، وقام بضخ أموال إيرانية ضخمة لشراء الأسلحة من اللصوص الذين سرقوها من مخازن القذافي، ثم جرى نقلها إلى مصر والسودان، عبر الطرق البرية وكانت وجهتها للمتطرفين في اليمن وسيناء وغزة.

يتحدث أحد القيادات الأمنية الليبية السابقة عن نشاط «نوري» ويقول إن الإيرانيين كانوا يحققون مكاسب في كل مرحلة من مراحل ما يعرف بثورات الربيع العربي. أسهم رجال «سليماني» في نشر الفوضى، رغم أن الرئيس مبارك كان قد وقَّع اتفاقا مع طهران وقتذاك بتسيير رحلات طيران بين البلدين لأول مرة منذ ثلاثة عقود في ٢٠١٠، لكن الموضوع لم يتم.. هذا فيما يتعلق بمصر.

أما بالنسبة لليبيا فكانت توجد صداقة قديمة بين معمر القذافي وإيران تعود لسنوات الدعم الليبي للإمام الراحل، الخميني، مرشد الثورة الإيرانية.. «كان القذافي ينفق عليه منذ بداية نشاطه السياسي في باريس، إلى أن دخل طهران عام ١٩٧٩.. حتى هذا التاريخ لم يشفع لنا. ساهموا في تخريب بلادنا. أخيرا اتجهوا لليمن، رغم مبادرات الإخوة في دول الخليج لإصلاح الأمور بين اليمنيين».

إذن رصدت تقارير أمنية مصرية نشاط الحرس الثوري الإيراني بمصر على خلفية قضية «حسيني». عدد من هذه التقارير جرى تضمينه في المحاكم المصرية أثناء مداولات لقضايا تخص علاقة بعض قادة الإخوان بحزب الله وحركة حماس ومشروع استقطاع جزء من سيناء لصالح وطن للفلسطينيين.

يوجد حظر قضائي للنشر في تفاصيل هذا الموضوع. تقول معلومات أخرى إن عناصر إيرانية

ومن حزب الله الموالي لإيران أسهمت مع حركة حماس في اقتحام السجون بمصر لإطلاق قادة الإخوان وقادة من حزب الله وحماس كانوا في سجون مبارك.

توقيف «حسيني» جرى أثناء تولي المجلس العسكري بمصر إدارة البلاد، وذلك عقب تخلي مبارك عن السلطة. قبلها، يقول أحد المصادر الأمنية: «لم يكن لدى الأجهزة ما يكفي من معلومات تفصيلية، على ما يبدو، بشأن نشاط الحرس الثوري.. لهذا، وبعد أن لمح المجلس العسكري إلى أنه حان الوقت لإعادة العلاقات بين القاهرة وطهران، تكشفت سريعا الألاعيب الإيرانية داخل مصر وفي دول الجوار أيضا».

رغم استقبال مرسي لنظيره الإيراني نجاد في مصر في ٢٠١٣ فإن تطور العلاقات، من وجهة نظر الأجهزة الأمنية المختصة، كان محكوما بالفشل، وهو ما حدث بالفعل.

تكشف تفاصيل جديدة عن نشاط «حسيني» عن أن إيران لها علاقات مريبة بما يعرف بالأفغان العرب.. هؤلاء سُنَّة من مصر واليمن وليبيا وتونس وغيرها، لكن إيران كانت حريصة على وضعهم تحت مناظيرها الخاصة حين لم يكن أمامهم أي مأوى آخر. يكشف أحد القادة الإسلاميين المنشقين، عن أن طهران بدأت في فتح الدروب أمام الأفغان العرب للهروب إليها مع دخول التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية لأفغانستان في ٢٠٠١.

وتعامل هذا الرجل مع «حسيني» حين كان في ذروة نشاطه في مصر. كان «الدبلوماسي الجاسوس» لديه معلومات تفصيلية عن الأفغان العرب الموجودين في منطقة سكنية خاصة تقع شرق طهران. وذكر وقتها أنه.. «آن الأوان لكي يعودوا ويؤسسوا نظاما إسلاميا مثلما فعلت إيران».

يقول في مقابلة مع «الشرق الأوسط» بشأن ما علمه من «حسيني» إن إيران «آوت المئات منهم، بأُسَرِهِم.. منحتهم مساكن في شرق البلاد ورواتب شهرية منذ ذلك الوقت حتى بداية انتفاضات الربيع العربي». يشير هذا القيادي المنشق (وهو باحث وله كتب تدرس في عدة جامعات عربية) إلى أنه، وبتتبع الأسماء التي رجعت من إيران أثناء «الربيع العربي»، بدا أن كثيرا من هؤلاء أصبحوا اليوم قادة ميليشيات يحاربون أبناء جلدتهم ويحولون بلادهم إلى دول فاشلة. يوضح مسؤول أمني أن الأمر لا يتعلق بنشر التشيع، بل بنشر الفوضى في العالم العربي، مثلا.. «عملية خلق (داعش) ثم محاربتها. هنا تلتقي مصالح إسرائيل وأميركا مع إيران».

تقرير أعده المركز المصري للبحوث والدراسات الأمنية، يلفت الانتباه إلى أن ظهور «داعش» وصراعاتها مع فصائل أخرى وتبنيها عقيدة قتال العدو القريب يجعلها تصب في مصلحة النظامين الإيراني والسوري. يرأس هذا المركز اللواء عبد الحميد خيرت، النائب السابق لرئيس جهاز الأمن الوطني (المخابرات الداخلية) بمصر. يقول إنه، لهذا السبب «سوف تتجه حروب الدول العربية ضد الإرهاب لأن تصبح رويدا رويدا في قلب عقيدة النظام العربي»، وهو ما أشار إليه الرئيس عبد الفتاح السيسي، وعدد من قادة الدول العربية أثناء انعقاد قمة شرم الشيخ الشهر الماضي.

حين تطرق الحديث في العوامة النيلية عن تنظيم داعش ودخول ميليشيات إيرانية إلى تكريت وغيرها من المدن العراقية، بدأت تحليلات عدد من الدبلوماسيين والأساتذة والخبراء تأخذ منحى جديدا.

هل إيران زرعت «داعش» عن طريق عملائها بالمنطقة، لتكون ذريعة لبسط نفوذها بالتعاون مع الغرب على العراق وسوريا.. هل غذت إيران تنظيم القاعدة في اليمن و«داعش» في العراق لتضع مثل هذه البلدان بين خيارين.. الإرهاب و«القاعدة»، أو

الهيمنة الإيرانية بالميليشيات والدعم الذي يشرف عليه قادة مثل سليماني، وحسيني، ونابخت، ونوري، وغيرهم.

الدكتور فتحي المراغي المتخصص في الشؤون الإيرانية، وهو أستاذ بجامعة عين شمس بالقاهرة، يتعجب من حرص قادة إيرانيين على التواصل مع المتطرفين السنة، ثم إعلان الحرب عليهم.. هو تقريبا يرى الأمر من نفس الزاوية التي أصبحت تتكشف هنا..

يقول: «تنظيم داعش فكرة غريبة. هذا التنظيم يركز على هدم الآثار التي تعبر عن التاريخ العراقي.. هذا شيء غريب. أعتقد أن إيران وراء تقوية هذا التنظيم بتكوينه الغامض.. تقوم بتقويته من جانب، ثم تحاربه من الجانب الآخر حتى تجد المبرر للتدخل بشكل أقوى في العراق أو غيره».

الدكتور المراغي يضيف أن إيران تروج لمقولة إن «داعش» تعمل ضد جميع المصالح الغربية، وحين تحاربها تجد مباركة من الغرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وبالتالي فإن القضية ليست قضية دين أو مذهب شيعي أو سني، وإنما حقيقة الأمر أن إيران تعمل من أجل مصالحها العليا، التي تتعارض مع المصالح العربية لكنها تتلاقى في بعض النواحي مع المصالح الغربية والإسرائيلية.

تقرير اللواء خيرت يذهب إلى أن القضية المركزية لتنظيمات المتطرفين «ليست القضية الفلسطينية أو إسرائيل، وليست قضية تقدم العالم العربي أو نهضته، وإنما إعادته إلى الماضي».

يذكر أحد الشخصيات المهمة التي كانت مقربة من القذافي أن الرجل الذي قتل في فوضى الربيع العربي، حاول بعد الدعم الذي قدمته ليبيا للخميني أن يصل معه لحلول وسط بشأن الخلافات حول اسم «الخليج العربي» الذي تطلق عليه إيران اسم «الخليج الفارسي».

قال له القذافي: «لماذا لا نعطه اسما يتماشى مع الثورة الإيرانية ولا يغضب إخواننا العرب.. فلنسمه (الخليج الإسلامي)». لكن الخميني رفض بشدة. ومنذ ذلك الوقت أصبح القذافي يتشكك في النوايا الإيرانية لكنه ظل يبعد هذه الشكوك حتى مقتله.

في إحدى زياراته لإيران اصطحب «حسيني» معه أحد النشطاء المصريين. يقول هذا الناشط لـ«الشرق الأوسط»: حين تهبط في مطار الإمام الخميني في طهران، ستجد على يدك اليمني، وأنت تخرج من صالة الوصول، لافتة موضوعة على ما يبدو خصيصا لاستفزاز أي عربي يمر من هنا. لافتة عليها سهم يشير إلى اتجاه الغرب ومكتوب عليها «الخليج الفارسي».

يعيش هذا الناشط المصري في الوقت الحالي خارج البلاد خوفا من مساءلته في قضية «حسيني». تحدث مشترطا عدم تعريفه. يقول إن «الخليج يقع على بعد نحو ٦٠٠ كيلومتر من المطار، فما جدوى هذه الإشارة هنا؟ سألت سيد حسيني، فابتسم ولم يجب».

ويضيف: تخيل أنك حين تخرج من مطار القاهرة تجد لافتة مكتوبا عليها إن مدينة رشيد تقع على بعد ٢٠٠ كيلومتر. لا يمكن أن توضع إشارة كهذه أمام المطار الدولي إلا إذا كان الأمر يتعلق بإرسال رسالة معينة للقادمين إلى مصر بشأن مدينة رشيد.

«إيران دولة قومية فارسية أم دولة دينية شيعية.. أم الاثنتان معا؟». تجد هذا السؤال في العديد من الجلسات المصرية والعربية بالقاهرة، في خضم النقاش عن «عاصفة الحزم» التي ينفذها التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية ضد الانقلابيين الحوثيين. يتطرق الحديث إلى مجمل السياسات الإيرانية القديمة والجديدة في المنطقة.

يقول أحد السفراء ممن عمل في السابق في دولة السلفادور، وهو يرى على الشاشة شعارات الحوثيين «الموت لأميركا وإسرائيل»، إن «هؤلاء المساكين لا يعلمون أن إيران التي تلقي بهم في المحرقة تتعامل مع

أميركا ومع إسرائيل أيضا.. كثير من اليهود الإيرانيين في أوروبا وأميركا اللاتينية يتوسطون عادة بين طهران وتل أبيب، وبينهم أصدقاء لقيادات إيرانية كبيرة».

من بين المعلومات الجديدة التي تتعلق بـ«حسيني» و«نوري» ضلوعهما مع أطراف من أصول إيرانية ولبنانية من حزب الله، في اتصالات مع إسرائيل جرت عدة مرات خلال السنوات الخمس الأخيرة، على عكس ما هو معروف من تلاسن وتهديدات بين البلدين. هذه الاتصالات تختلف عما جرى الكشف عنه في السابق. تخص إحدى الوقائع ترتيبات زيارة نجاد للحدود اللبنانية مع إسرائيل. هنا ظهر اسم «حسيني» من جديد.

أدى النشاط المكثف لهذا الرجل خلال زيارة نجاد للبنان إلى انتباه السلطات المصرية لمكانته على ما يبدو، لأن مقر إقامته الدائم حينها كان مكتبا تستأجره الحكومة الإيرانية في ضاحية الدقي بالقاهرة، وجرت عملية تتبع لتحركاته منذ ذلك الوقت في عدة مناطق ملتهبة أخرى بالمنطقة العربية.

حوار شؤون خليجية
مع د. محمد السعيدي
(داعش) صناعة استخبارات عالمية
وليست (نبتة سلفية)

موقع شؤون خليجية –٢٠١٥/٤/١١ - حوار يسري المصري

خلال الجزء الثاني من الحوار مع موقع (شؤون خليجية)، تناول د. محمد السعيدي عن كيفية ظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وأسباب ذلك، ومن يقف وراءها، وما هي الأهداف الحقيقية التي سعت إليها أجهزة استخباراتية عالمية من تكوين التنظيم، وكيف استطاعت السعودية الفصل بين محاربة الإرهاب واحترام التدين، وغيرها من النقاط الهامة نعرضها في هذا الحوار الآتي:

«داعش».. ومن يقف وراءها؟

❖ بداية لماذا تنظيم الدولة «داعش» الآن.. وما سر ظهوره؟

❖ يبدو لي أنه منذ عقدين من الزمان، وهناك دوائر استخباراتية قد اكتشفت أن التطرف الديني يمكنه أن يُقدم لها خدمات كبيرة بشكل أكبر من أي جهة أخرى تخضع لعمالتها المباشرة، وقد بدأت هذه الفكرة تُنَفَّذ عملياً في تغذية التطرف النصراني الأرثوذكسي واستخدامه لقتل المشروع الإسلامي في يوغسلافيا بعد تفككها، فقد تم استخدام هذا التطرف لإجبار المسلمين على الاستسلام للأمر المفروض عليهم، عبر حملة تطهير عرقي ذكرتنا بما كتبه المؤرخون عن جرائم المغول في بغداد وجرائم الصليبيين في بيت المقدس.

والحق أن ذلك التطرف النصراني نجح في تحقيق ما كانت دول أوربا تطمح إليه من منع تكوين دولة إسلامية في أوربا، فبالرغم من أن المذابح أقيمت في البوسنة، إلا أن المشروع الإسلامي تم القضاء عليه بسبب تلك المذابح في: كوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود وألبانيا وصربيا وكرواتيا والمجر ورومانيا وبلغاريا، حيث تعيش في تلك البقاع نسب متفاوتة من المسلمين كان تقاربها يشكل على المدى البعيد خطرًا- فيما يزعمون- على الحضارة الأوربية اللادينية.

هذا النجاح الذي حققه التطرف الديني النصراني شجع الدوائر المخابراتية، التي تستفيد عادة من خبرات بعضها على استخدام التطرف لدى المسلمين لتنفيذ مشاريع تتعلق بمستقبل الإسلام مع الغرب، ومن هنا بدأ استخدام تنظيم القاعدة لتهيئة الرأي العام الغربي والأمريكي، خاصة للعداء مع العالم الإسلامي، فجاءت عدة أحداث من تنظيم القاعدة- قبل أن يطلق عليه هذا الاسم- غير مبررة تم استغلالها جيداً لتعبئة الرأي العام الأمريكي ضد المسلمين، حتى جاء الوقت المناسب لإطلاق ما عُرِف بأحداث١١/ ٩، والتي ثبت بعد

سنوات أن القاعدة لم تكن فيها سوى آلة لا غير. في هذا السياق، وفي ظل المشروع الأمري إيراني في العراق، تم تكوين إمارة العراق الإسلامية، والتي تكونت من متطرفين مسلمين تديرهم من حيث لا يشعرون أجهزة مخابرات مشتركة، وتم بواسطتهم القضاء على المقاومة السنية ضد الوجود الأمريكي عبر ما كان يسمى دولة العراق الإسلامية، والذي انتهى بتسليم العراق كاملاً للطائفة الشيعية الموالية لإيران، واختفاء ما يسمى بدولة العراق الإسلامية فجأة، وكان بعض السنة قد اضطروا للتحالف مع أمريكا ضد دولة العراق، الذي رحبت به أمريكا للتخلص من هؤلاء بعد أن انتهى دورهم، والذي عُرف إعلاميًا بالصحوات.

وبعد النجاح الكبير الذي حققته الثورة السورية بدعم «سعودي – تركي» في العامين الأولين، تمت مساعدة جبهة النصرة والفصائل المنتمية فكرياً للقاعدة على الظهور، وذلك لتحقيق عدة مكاسب، منها: تخويف السعودية وتركيا من مواصلة دعمهم للثوار السوريين، بحجة أنه في ظل الفوضى لايمكن الجزم بأن أي دعم يصل للثوار لن يتسرب للتنظيمات القاعدية.

التبرعات للتنظيمات القاعدية

ومن المكاسب أيضًا: توجه بعض الرموز الدعوية في الخليج لجمع التبرعات وتوجيهها نحو التنظيمات القاعدية، بدعوى أنها أكثر إخلاصاً، لكونها لا تتلقى الدعم من الحكومات العميلة حسب زعمهم، وفعلاً تم ذلك واشتغل عدد من الدعاة في الخليج بجمع التبرعات وصرفها فقط على التنظيمات القاعدية، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل قام بعض هؤلاء الدعاة بتشويه سمعة كل من يدعم فصائل الجيش الحر أو التنظيمات الإسلامية التي لا تنتمي للفكر المتطرف، وللأسف وجدت هذه الترهات آذاناً صاغية.

ومن المكاسب أيضًا: ضرب الثوار السوريين بفصائل تنظيم القاعدة وإشغالهم عن حرب النظام، وفعلاً بدأت جبهة النصرة بالاستيلاء على المناطق التي حررها الثوار من النظام.

وفي هذه الأثناء جاءت فكرة الاستخبارات المزدوجة، إعادة مشروع دولة العراق الإسلامية بلباس يتناسب مع الوضع الجديد في سوريا، فتم إنشاء ما يسمى دولة العراق والشام، التي أطلق عليها إعلامياً داعش، والتي يطول التفصيل فيها.

٦ أهداف لتنظيم الدولة الإسلامية

❖❖ لكن برأيك ما المكاسب العملية التي سعت إليها تلك الدوائر المخابراتية من تحقيقها جراء ظهور داعش؟

❖ مشروع «داعش» يراد منه عالميًا، أو قل يراد منه أمريكياً وصهيونيًا وإيرانياً، عدة مهام نستطيع أن نجملها في ٦ نقاط:

١- تحطيم الثورة السورية بأيدي المسلمين أنفسهم.

٢- إضعاف السنة العرب في العراق والمتّسِمِين بالاعتدال والحكمة.

٣- توظيف الشيعة العرب في العراق في خدمة المشروع الإيراني.

٤- تسليم المنطقة بالكامل للإشراف العسكري الدولي، وهو ما تم عبر تحالف الدول باسم القضاء على (داعش).

٥- فتح العراق بالكامل أمام الحرس الثوري الإيراني تحت ذريعة قتال داعش، وتمكينه من القيام بعمليات إبادة للسنة، وهذا ما يحدث الآن في المدن العراقية السنية التي تشهد قتالاً بين داعش والجيش العراقي- كما يزعمون- أو كتائب قاسم سليماني على الحقيقة، وما يحدث في تكريت وقت هذا الحوار مثال واضح لما ذكرته، فالقوات العراقية والشعبية بقيادة وتنسيق قاسم سليماني، تتقدم فيما يزعمون لتحرير تكريت من داعش، وللأسف سوف تفعل داعش الشيء نفسه

الـذي فعلتـه في عـين العـرب، تجعـل مـن البلـدة سـاحة حـرب ثـم تنهـزم لـتترك أهـل البلـدة وشـأن هـذه القـوات بهم.

٦- إطالـــة أمـــد الفوضـــى في الـــشام والعـــراق والـسعي لمـدها نحـو الـسعودية ودول الخلـيج، كـما هـو البرنامج المعلن لداعش.

المخابرات العالمية

❖❖ إذن برأيـــك كيـــف يمكـــن تفـــسير أن المخـابرات العالميـة تنـشئ داعـش وهـي التي تقـوم اليـوم بضربها؟

❖ الـــضرب العـــالمي لـــداعش يتحقـــق منـــه للـــدول المهيمنة على العالم عدة مصالح، منها:

١- ضــمان عــدم اتــساع داعــش فــوق مــا هــو مخطـط لهـا، وضـمان عـدم اسـتقرار الأمـر لهـا بحـال من الأحوال.

٢- ابتـزاز الـدول الخليجيـة الـتي تهـددها داعـش كتركيـا والـسعودية وبـاقي دول الخلـيج، لـيس ماديـاً وحسب، بل وسياسياً أيضًا.

٣- اســتقطاب الــشباب المــسلم الــذي يــشكل وجــوده خطــراً مــستقبلياً علــى الــصهاينة، للانــضمام لداعش، ومن ثَم قتله هناك.

بين داعش وطالبان والقاعدة

❖❖ هـل تـرى أن هنـاك فرقًـا بـين طالبـان وداعـش والقاعـدة؟ ومـا هـو هـذا الفـرق؟ وهـل سـنفاجأ بظهـور جماعات عنف جديدة؟

❖ طالبـان في الأصـل ليـست جماعـة عنـف، بـل هـي جماعـة مناضـلة مـن أجـل وحـدة بلادهـا أفغانـستان، وكانـــت تحظـــى بـــاعتراف ســـعودي، لكـــن ضـــعف الرؤيـــة الـــسياسية لـــدى قيـــادة هـــذه الجماعـــة أدى إلى عدم اتخاذها موقفاً صحيحاً من أحداث ١١/ ٩.

الأمـر الـذي كـان سـبباً فيمـا حـصل لهـا مـن بعـد، وهـــي حتـــى الآن في منـــأى عـــن العنـــف خـــارج إطـــار مقاومـــة المحتـــل، لكنهـــا حتـــى الآن أيـــضا لم تُظهِـــر موقفاً واضحاً كما ينبغي من القاعدة.

أمـــا القاعـــدة وداعـــش فبعـــضهما مـــن بعـــض ولا خـــلاف بينهمـــا في الأصـــول الـــتي تـــدعو للعنـــف وتزكيـــه وتـــشرع لـــه، ومـــا يبـــدو الآن في ســـوريا بينهمـــا مـــن تنـــاحر هـــو خـــلاف علـــى المكاســـب فقـــط، وإن كـــان يأخـــذ تصويراً شرعياً.

ومـــن الطبيعـــي أن نفاجـــأ بظهـــور جماعـــات جديـــدة فحدية الطرح تجعل التشظي مسألة محتملة دائمًا.

السعودية بين الإرهاب والتدين

❖❖ لـو انتقلنـا للملكـة العربيـة الـسعودية سـنجد أن المملكـــة واجهـــت خطـــر الإرهـــاب، ومـــع ذلـــك اســتطاعت في تجربــة فريــدة فــصل مفهــوم التــدين عــن الإرهـــاب، فكيـــف حـــدث ذلـــك؟ وكيـــف يمكـــن في ظل الحلول الأمنية فصل التدين عن الارهاب؟

❖ الإرهـــاب الحـــديث لـــه أســـباب، حينمـــا نـــصل إليهـــا ونـــستطيع بيانهـــا للمجتمـــع وللـــشباب المتـــدين خاصـــة ســـننجح في وأد الإرهـــاب وإضـــعاف جاذبيتـــه، وفي ظـــني أن الـــسعودية أدركـــت بعـــض الأســـباب وعملـــت علـــى العـــلاج مـــن خلالهـــا، لكنهـــا لم تعـــالج كـــل الأســـباب حتـــى الآن، ونحـــن في انتظـــار المزيـــد، وهذه الأسباب هي ما يلي وليس على سبيل الحصر:

١- تـــصور خـــاطئ عـــن مفهـــوم تطبيـــق الـــشريعة والسبيل الصحيح لتطبيقها.

٢- غيـــاب مفهـــوم الموازنـــة بـــين المـــصالح والمفاســـد، والموازنـــة بـــين المفاســـد بمعنـــى تقـــديم أخـــف المفسدتين على أعلاهما عند الضرورة.

٣- غيـــاب ســـيرة الـــنبي ﷺ، عـــن الاعتبـــار بهـــا في خضم ما يستجد من أحداث.

٤- عزلـــة هـــؤلاء الـــشباب المتطـــرفين عـــن أهـــل العلـــم، وقـــد حـــدثت هـــذه العزلـــة نتيجـــة ســـنوات مـــن العمـــل غـــير المقـــصود، والعمـــل المقـــصود، علـــى تـــشويه صورة العلماء الحكماء في أذهان الشباب.

٥- انتشار مفهوم حزبي خاطئ، وهو أن الإصلاح لا يكون إلا عن طريق تغيير الحكام ومناهضتهم، الأمر الذي صرف همم كثير من الدعاة عن الدعوة والتربية إلى إيغار الصدور على الحكام واستخدام النصوص الشرعية لإثبات كفرهم، الأمر الذي أنشأ ظاهرة التكفير.

٦- ظلم وجور أكثر الحكام المسلمين واستهانتهم بالشريعة جملة وتفصيلاً، الأمر الذي جعل لكل الدعوات الثورية والتكفيرية جانبًا كبيرًا من المصداقية ساهم في تبرير التطرف.

٧- استغلال أجهزة الاستخبارات المختلفة إيرانية وصهيونية وأمريكية وأوربية وروسية لهذا التوجه، والعمل على اختراق هذه الجماعات حيناً أو إنشاء جماعات تحت قيادات عميلة لهم، وذلك بقصد تمرير مشاريعهم بطريقة يطول شرحها، لكن هذه الأجهزة الاستخباراتية وفرت غطاء إعلامياً وتغاضياً سياسياً وتمكيناً مادياً، بل وهيأت ظروفاً تجعل دعوات هذه الجماعات أكثر إقناعاً.

٨- وهي النقطة الأخيرة.. استغلال منظري الجماعات لنصوص من الكتاب والسنة متشابهة، أو نصوص تعسفت في حملها على نظرياتها التكفيرية، وذلك لمزيد من القدرة الإقناعية على جلب الأتباع أو التبرير للنفس، لأن كثيراً منهم يعتنقون الفكر التكفيري المتطرف الدموي قبل البحث عن دليل له.

التعذيب والقمع.. والتشدد والتكفير

❖❖ وماذا عن المقولة التي تقول إن التعذيب والقمع هو الذي يولد التشدد والتكفير والإرهاب.. فبرأيك هذه المقولة صحيحة.. ولماذا؟

❖ كل عمل غير مشروع سوف ينتج ثماراً مُرة، لكن ليس بالضرورة أن تكون هذه الثمرة تكفيراً وإرهاباً، بل قد تكون على النقيض وهو التهتك والإلحاد، فالتعذيب ليس هو المصدر الوحيد للتوجه التكفيري بل هو أقل مصادره، ونحن نرى أن أكثر المعتنقين له لم يدخلوا السجن أصلاً.

ليست نبتة سلفية

❖❖ لكن هناك بعض المشايخ يرون أن داعش نبتة سلفية أصيلة.. فكيف ترون ذلك؟

❖ أعتقد أن الذي يقول ذلك هو مثل من يقول إن الخوارج هم نبتة راشدية، بل القول بأنهم نبتة راشدية أقرب، فقد بدأت نشأتهم في عصر عثمان رضي الله عنه، واستكملت في عصر علي رضي الله عنه، بل خرجت من جيشه.

بل لي من خلال هذا المنطق أن أقول داعش نبتة قطبية، لأن منظر التكفير أبو محمد المقدسي قد صرح بتأثره بسيد قطب رحمه الله، بل إن سيد قطب هو صاحب العبارة الشهيرة (طريقنا مفروش بالأشلاء)، والذي يعرفه كل من ناقش التكفيريين أنهم قرأوا كتب الدعوة السلفية بعد أن اعتنقوا التكفير أو اقتربوا منه، هذا في الغالب وليس العكس، أي ليس أنهم كفَّرُوا من أجل أنهم قرأوا كتب الدعوة.

الغلو في الدين

❖❖ هل التطرف والإرهاب والتكفير حكر على أهل السنة كما يدعي البعض؟ وماذا عن المجازر التي ترتكب ضد المسلمين السنة في العديد من البلدان العربية والإسلامية؟

❖ للجواب عن ذلك يمكن الحديث عن ظاهرة نشوء الإرهاب من عدة زوايا أبدأها بما يلي:

١- الغلو في الدين يعبر عن خلل في فهم الدين يقع دائمًا بين فئة تقل وتكثر في أتباع الديانات في كل زمان ومكان، وليس مقتصرًا على الدين الإسلامي.

ولهذا قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾، وقد غلا

اليهـود والنـصارى في عـدة جوانـب أبرزهـا، جانـب العنـف وجانـب الرهبانيـة، وحـديثنا هنـا عـن جانـب العنـف، فقـد مارسـه اليهـود والنـصارى عـبر التـاريخ مـرات عديـدة، قـاموا خلالهـا بمحـاولات بـشعة لتـصفية مخـالفيهم، وقـد نـصت التـوراة المحرفـة علـى صـور مـن هـذه التـصفية العرقيـة، كمـا هـو مـسطور في سـفر يوشـع بـن نـون وغـيره مـن الأسـفار، حيـث يـروي ذلـك الـسفر القـصة المزعومـة ليوشـع بـن نـون في استئـصال الفلسطينيين.

وعلـى مـر التـاريخ شـهدت العـصور مجـازر تـصفيات عرقيـة بـذرائع دينيـة مـن أهـل الكتـاب، مـن أبـشعها مجـزرة القـدس سـنة ٤٩٢ هــ، محـاكم التفتـيش في إسـبانيا، ومجـازر البلقـان في نهايـة القـرن التاسـع عـشر الميلادي، والـتي كانـت تـصفية المـسلمين فيهـا علـى أسـس الغلـو في الـدين، حتـى قـال الـشاعر أحمـد شوقي وهو يُخلّد مجازر مقدونيا:

ويحثـه باسـم الكتـاب أقِـسّة.. نـشطوا لمـا هـو في الكتاب حرام

وفي الـسنوات المتـأخرة، كانـت مجـازر الآرثـوذكس ضـد مـسلمي البلقـان أيـضًا وهـي لا تخفـى علـى الجميـع، أمـا مجـازر اليهـود ضـد المـسلمين في الـضفة الغربيـة وغـزة فأشـهر مـن أن تعـرّف، وكـذلك مـا فعلـه الأمريكـان والـروس في الأفغـان، وما فعله الأمريكان في العراق.

المهـم مـن ذلـك أن قـصة الغلـو في الـدين عـن طريـق الإسراف في قتل المخالف لا ينجو منها أتباع دين.

هـذا الجانـب مـن الغلـو يمكـن أن نـصفه بأنـه جانـب تلقـائي يكمـن في نـزوع بعـض النفـوس البـشرية بطبعهـا إلى العنـف، فتختـلط هـذه النزعـة بالتـدين أيـاً كـان المتـدين، سـواء أكـان يهوديـاً أم نـصرانياً أم مـسلماً، فتنـتج غلـواً في جانـب العنـف، لكـن الإسـلام اسـتطاع أن يَحُـدّ مـن هـذا الأمـر كـثيراً، وذلـك عـن طريـق الدقـة والـوفرة في التعـاليم المحفوظـة والبعيـدة عـن التحريـف والعبـث، والـتي لا توجـد في ديـن آخـر، ولـذلك كـان المـسلمون الـسنة علـى مـدى تـاريخهم حتـى عـصرنا الحاضـر أقـل الأمـم غلـوا في الـدين في جانـب العنـف، بـل حتـى التطـرف والغلـو الموجـود حاليـاً في المنظمـات المتطرفـة المنتميـة للإسـلام الـسني خاصـة، كالقاعـدة وداعـش أقـل بكـثير مـن الغلـو والتطـرف الموجـود لـدى الـصهيونية اليهوديـة أو الصهيونية النصرانية أو الصفوية الشيعية.

سياسة «سلمان» الجديدة

❖❖ كيـف تنظـر الى عهـد العاهـل الـسعودي الجديـد الملـك سـلمان، ومـا هـو المطلـوب في هـذه المرحلة؟ وما سر التغييرات الكبيرة التي أجراها؟

❖ كـل دولـة لهـا اسـتراتيجيات، أي غايـات وأهـداف عليـا، وطـرق واسـعة للوصـول لهـذه الغايـات والأهـداف، ولهـا أيـضًا تكتيكـات أي طـرق للتعامـل الجزئـي في بعـض الظـروف، والمنحنيـات مـع الاسـتبقاء على الهدف والطريق الاستراتيجي.

مـا تم في عهـد الملـك سـلمان هـو إن صـح التعـبير تغـير في التكتيـك بـشكل يـرى الملـك ومـساعدوه أنـه أنسب للمرحلة.

الـبعض تـصور أن المملكـة تخلـت عـن مواقفهـا الـسابقة مـن خـلال مـا رأوه مـن معـالم تـدل علـى تغـير التكتيك، وكان هذا خطأ كبيراً في التقدير.

فموقـف الـسعودية كـان ومـازال ممتـازاً مـع تركيـاً، ولم يظهـر عليـه سـابقا أي شـيء يـدل علـى قطيعـة بـين البلـدين، والتعـاون التجـاري والـسياسي والاسـتخباراتي ظـل قائمـاً ولم يـستجد فيـه شـيء سـوى الزيارتين الأخيرتين للرئيس التركي.

وقـل الـشيء نفـسه في موقـف المملكـة مـن قطـر ومـصر والـيمن والعـراق وإيـران وسـوريا، والـذي تغـير فقـط هـو أسـلوب العمـل وطريقـة الحركـة، وأعتقـد جازمًـا أن الأسـلوب الجديـد في التعـاطي أفـضل وأنـسب للمرحلـة، ولـدي انطبـاع بـأن طريقـة الـدول

التي ذكرتها ما عدا النظامين السوري والإيراني، هي التي تغيرت مع السعودية وليس العكس.

الحوثيون وانزلاق المملكة للحرب معهم

❖❖ في الجزء السابق من الحوار معكم ذكرتم أن إيران والحوثيين يستدرجون المملكة نحو معركة معهم وأنهم يرغبون في ذلك، والآن وبعد قيام السعودية فعلاً بالحرب على الحوثيين ما تعليقك؟

❖ ما زلت أعتقد أن الحوثيين ومن ورائهم إيران كانوا يستفزون السعودية كي تنزلق في حرب معهم، وفعلاً دخلت السعودية هذه الحرب لكنها بكل ما أحاط بها كانت مفاجأة، ليس لإيران والحوثيين وحدهم، بل لكل المراقبين بمختلف تخصصاتهم.

وأظن أن إيران ومن معها بل وجميع المراقبين، يتصورون أن الموقف الأمريكي والعربي سيكون مشابهًا للموقف من مشاركة السعودية في الحرب السادسة على الحوثيين قبل سنوات، وأن دول العالم ستضغط على السعودية من أجل التوقف عن الحملة، وبذلك تخرج السعودية منكسرة، وتخرج إيران ومن تبعها في منتهى القوة.

لكن الدبلوماسية السعودية عملت في الخفاء عملاً في غاية التعقيد والإحكام أدى إلى موقف عربي وإقليمي شبه موحد، مما اضطر القوى الدولية للإذعان لهذا الموقف، وجعل إيران في حرج كبير.

عاصفة الحزم

❖❖ وهل ترى في الأفق مخاطر على هذا التحالف؟

❖ أي عمل عسكري في مجتمع دولي تتضارب مصالحه مثل تضارب الأمواج، لابد أن له مخاطره، لكن التخطيط المتميز الذي بدأت به عاصفة الحزم يجعلنا على ثقة بإذن الله، من أن الدول المتحالفة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، قد أعدت لكل سؤال جوابه.

مشروعية الحرب

❖❖ وبصفتكم متخصصًا في الشريعة.. هل تجد إشكالية في الإفتاء بمشروعية هذه الحرب؟

❖ أعتقد أن هذه الحرب لقيت من تأييد الجهات الشرعية ما لم تجده أي عملية عسكرية منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، فقد توافقت على الإفتاء بمشروعيتها هيئة كبار العلماء في السعودية واتحاد علماء المسلمين ورابطة علماء المسلمين، وصدر فيها بيان من شيخ الأزهر، ومن رابطة العالم الإسلامي، وبذلك نعلم أن الحكم فيها أكثر جلاء من أن يوضح، ويمكن للقارئ الكريم مراجعة بيان هيئة كبار العلماء للتعرف على أدلة المشروعية.